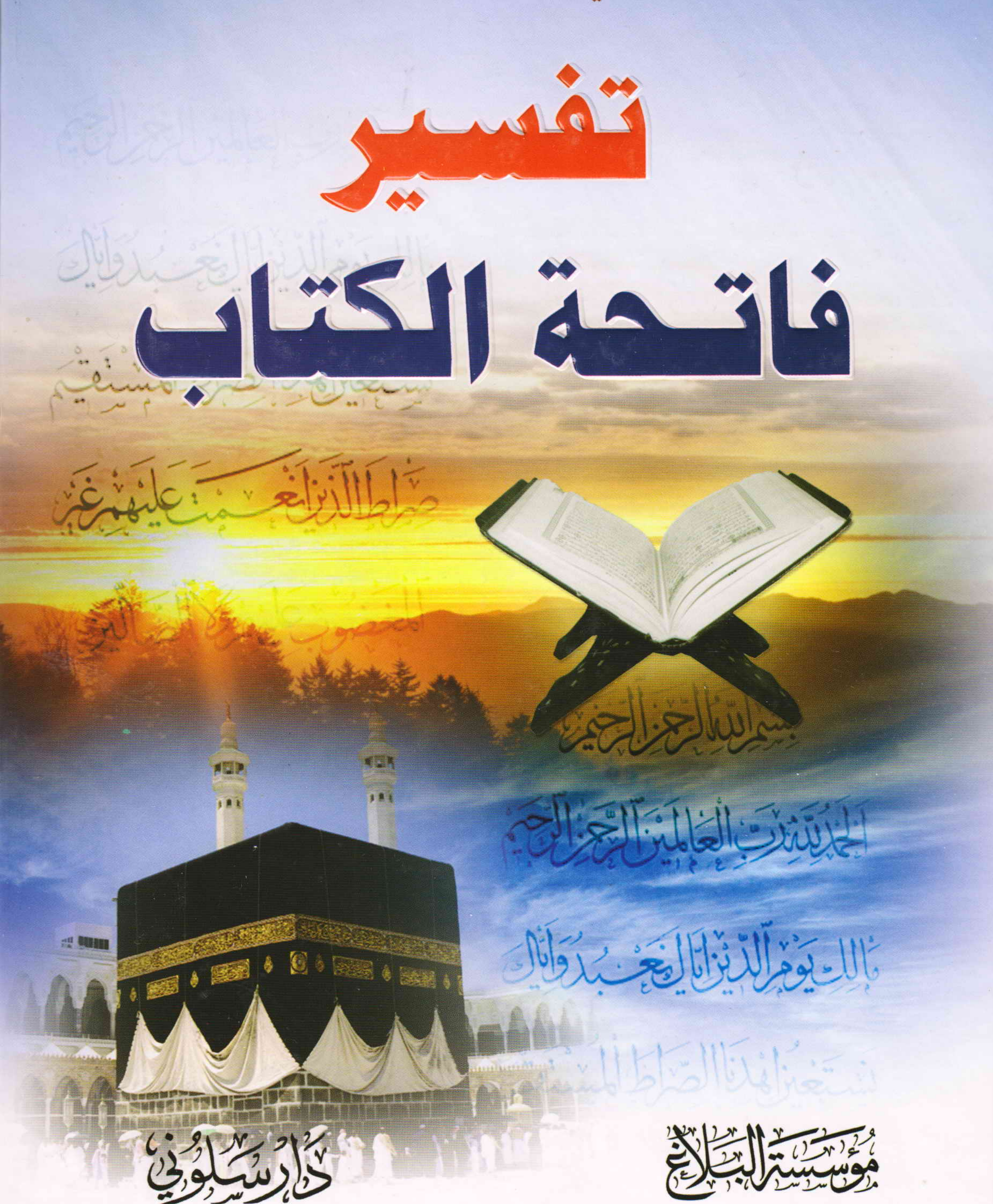
تأليف
العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني

تفسير فاتحة الكتاب



دار سلوني
مؤسسة البلاغ



تفسير فاتحة الكتاب

تفسير فاتحة الكتاب

تأليف

شيخ الخطباء والمحدثين آية الله المجاهد

الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قدس سره

تحقيق وتعليق

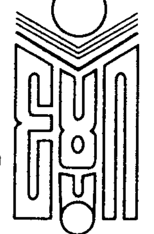
العلامة الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رحمه الله

مؤسسة البلاغ

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م



مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب : ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف : (٠٣/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس : ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com
E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ

إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ

ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ

غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ

صدق الله العلي العظيم

الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي
شيخ الحفّاظ والمحدِّثين(قده)

* من أعلام الإسلام الذين نذروا حياتهم وضحَّوا بأنفسهم وكرَّسوا جُلَّ طاقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الدين ونشر الإسلام وخدمة الصالح العامّ.

* ولد في مدينة تبريز في إيران وهاجر الى النجف الاشرف عام ١٣٣٦هجرية.

* عمل على توسعة دائرة تبليغ المذهب الشيعي ونشر معارف الإسلام إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه والسير بالمسلمين نحو الرقيّ والكمال.

* انطلاقاً من إحساسه بمسؤوليته الدينية تجاه نحلته وأمته، انصرف إلى التأليف الديني والمطالعة والتحقيق والوعظ والإرشاد، ولم يفتر لحظة عن ذلك.

* ترك رحمه الله ثروة علمية ضخمة من التأليف والتحقيق في شتى الحقول والمواضيع الإسلامية من التفسير والحديث والتاريخ والعقائد وما إلى ذلك.

* من كتبه التي خلَّفها لنا:

الغدير: وهو سفر كبير خالد لم تنجز طباعة كل أجزائه ويحتوي بحوثاً تحليلية مسهبة ودراسات وافية لطائفة من الآيات الكريمة النازلة في العترة الطاهرة.

دراسات قرآنية في تفسير جملة من الآيات الكريمة مفادها ومنطوقها.

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[(١)].

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[(٢)].

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[(٣)].

كتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[(٤)].

كتاب «تفسير فاتحة الكتاب» وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا، حيث يُعدُّ باكورة تصانيعه وأول خطواته في التأليف.

ومن تآليفه الأخرى هي:

* أدب الزائر لمن يمّم الحائر.
* شهداء الفضيلة.
* سيرتنا وسنتنا.
* تعليق على كتاب كامل الزيارات
* تعليق على الرسائل والمكاسب للشيخ الأنصاري
* عمل على تأسيس مكتبة إسلامية كبرى في النجف الأشرف تضمُّ كلَّ ما يمكن أن يحتاجه الباحث من مراجع تساعده في إنجاز أبحاثه

---

(١) سورة غافر/ الآية١١/ .

(٢) سورة الأعراف/ الآية١٧٢/ .

(٣) سورة الواقعة/ الآية٧/ .

(٤) سورة الأعراف/ الآية١٨٠/ .

ومؤلفاته بأفضل الطرق وأقصر توقيت وأجود استقصاء، وقد قدَّمت هذه المكتبه حتى الآن خدمات علمية وثقافية كبرى لروادها من المفكرين والباحثين العرب والأجانب، حيث يستفيد منها سنوياً ما يعادل ستة عشر ألف شخص.

* توفي الشيخ عبد الحسين الأميني رَحِمَهُ الله عام ١٣٩٠هـ وتركت وفاته لدى تلامذته وقرائه ومريديه حزناً عميقاً، وخَلَفَه في الأمانة العامة للمكتبة ابنه الشيخ رضا الأميني النجفي الذي سار على خطوات أبيه وتابع نضاله الديني ومشروعه العلمي المقدَّس بهمة واقتدار.

العلامة الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رَحِمَهُ الله

* ولد الشيخ رضا عبد الحسين الأميني النجفي رَحِمَهُ الله في بيت طاهر شريف هو بيت والده الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي قُدِّسَ سِرُّهُ الذي كرَّس جهوده في حياته الطاهرة للبحث في علوم القرآن الكريم والتأليف فيها وفي شرح سور وآيات القرآن الكريم بالشكل الذي يثقف طائفته وأبناء الدين الإسلامي ثقافة دينية واسعة إلى درجة مكَّنته من تأسيس مكتبة إسلامية كبرى في النجف الأشرف أصبح ولده الشيخ رضا رَضِيَ الله عَنْهُ أميناً عاماً لها فيما بعد.

* لقد نشأ الشيخ رضا الأميني النجفي نشأة دينية على يدي والده الذي لم يبخل بتعليمه وتثقيفه وتقديم كل ما يحتاجه ليصير علامة كبيراً هو أيضاً، فانصرف بكلِّيَّته إلى علوم الدين المختلفة فأتقنها إتقاناً جيداً، حتى صار قادراً على المحاضرة فيها بفكر متعمق باحث. وعمل في مكتبة النجف الأشرف الذي أسسها والده، حتى استطاع أن يكون أمينها العام بما لديه من فكر تنظيمي متطور.

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن بوسع أي عالم أو باحث في التعريف بكتاب الله العزيز أن يفيه حقه في البحث عن أية ناحية من نواحيه، وإن أوتي من البيان قسطه الأوفى، ومن العلوم حظه الأوفر.

إنّ كنه كلام المولى جلّ اسمه لا يقف عليه وعلى أسراره إلا من ارتضاه واختصه وانتجاه من بريته، فالعقول المحدَّدة المقيَّدة لم يتأتَّ لها خوض غمار ذلك البحر الخضمّ، ودرك رموز تلك المعجزة الخالدة، وما اشتملت عليه من أسرار هذه الحياة الدنيا من حين نشأتها حتى نهايتها.

إن كتاب الله الكريم ببلاغة بيانه وفصاحة أسلوبه حيَّر عقول البلغاء وفطاحل اللغة:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء/ الآية٨٨/ .

وبما حوى من المعارف، والعلوم، والأسرار الكونية أثبت أنه كلام الله الذي لا يبلى مع الجديدين، وأنه أجلّ من أن يحيط بكنهه وصف الواصفين، والاعتراف بالعجز بين يدي:

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1].

خير من ولوج معترك سفر تتصاغر
دون عظمته همم النوابغ والفطاحل

إن إعجاز القرآن لم يقف عند هذا الحدّ! بل كل ناحية من نواحيه معجزة في ذاتها.

فدساتيره العقائدية، وقوانينه التشريعية، وأنظمته الرصينة تحقق للبشرية أبلغ ما تتطلع إليه من سعادة في تدبير شؤون الحياة.

فكما أنه كتاب توحيد وإيمان... وكتاب تشريع وسنن.. وكتاب تأمل وعبادات.. وكتاب بلاغة وأدب.. فهو قبل كل ذلك كتاب جمع فأوعى، فيه تبيان كل شيء ﴿وَهُدًى وَرَحۡمَةً وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2]، ففيه أصول كل العلوم، وفيه الحكمة والموعظة الحسنة، وفيه كل ما يتطلبه ويحتاج إليه الانسان في نشأتيه: الدنيوية والأخروية.

ويصف أمير المؤمنين(سلام الله عليه) كتاب الله الكريم في خطبة بليغة يقول فيها:

«ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لاتطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقُّده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوؤه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاءً لاتخشى أسقامه، وعزاً لا

(١) سورة هود/ الآية١/ .
(٢) سورة النحل/ الآية٨٩/ .

تهزم أنصاره، وحقاً لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافيُّ الإسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون، وأعلام لا يعمى عنها السائرون، وآكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجَّ لطرق الصلحاء، ودواءً ليس بعده داء، ونوراً ليس معه ظلمة، وحبلاً وثيقاً عروته، ومعقلاً منيعاً ذروته، وعزاً لمن تولَّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمَّ به، وعذراً لمن انتحله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، وفلجاً لمن حاجَّ به، وحاملاً لمن حمله، ومطيَّةً لمن أعمله، وآية لمن توسَّم، وجنة لمن استلأم، وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى»[١].

وقد وهب الله غوامض أسرار كتابه السماوي، وخفايا آياته البينات مما لم يُظهر عليه أحداً من عباده إلى خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٢].

وقد أودع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلَّ ذلك أوصياءه وخلفاءه من بعده الذين قرن الله طاعتهم بطاعته، وموالاتهم بموالاته، فهم الذين تدبروا عنه رسالة ربه، وغاصوا بحار اليقين، وبلغوا من العلوم والمعارف الإلهية ذروة الكمال، على بصيرة من أمرهم، وهدى من ربِّهم بأوفى وأتمِّ مراتبه

---

(١) نهج البلاغة ج٣: ٦٩ -٧٠.

(٢) سورة الجن/ الآية٢٦-٢٧ .

ومدارجه وراثة عن النبي الأعظمﷺ فكان أمير المؤمنين عليه السلام أول من تكلم في تفسير القرآن من أصحاب رسول الله وهو أعلم المسلمين بكتاب الله وتأويله بلا منازع.

روى ابن مسعود قال: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاَّ وله ظهر وبطن، وإن علياً عنده علم الظاهر والباطن»(١).

وقال السيد أحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية:

«كان علي رضي الله عنه أعطاه الله علماً كثيراً، وكشفاً غزيراً، قال أبو الطفيل: شهدت عليا يخطب وهو يقول: سلوني من كتاب الله فوالله مامن آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرتُ سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: علمُ رسول الله من علم الله تبارك وتعالى وعلمُ عليّ رضي الله عنه مِن علم النبيﷺ وعلمي من علم علي رضي الله عنه وما علمي وعلم أصحاب محمدﷺ في علم علي رضي الله عنه إلا كقطرة في سبعة أبحر.

ويقال: إن عبد الله بن عباس أكثر البكاء على علي رضي الله عنه حتى ذهب بصره.

وقال ابن عباس أيضاً: «لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر»(٢).

والعترة الهادية أعلم الناس بأسرار كتاب الله الحكيم بعد جَدِّهم الطاهر وأبيهم سلام الله عليه، فهم منار الهدى، وينابيع الإيمان واليقين،

---

(١) الغدير ج٢: ٣٥. وج٣: ٩٩.

(٢) الغدير ج٢: ٢٥.

وبيوتهم مهبط وحي الله المبين.

ولجلالة كتاب الله، وعلو قدره، ورفعة منزلته اهتم علماء المسلمين في تفسيره، وبيان علومه، وكشف أسراره، وركنوا في ذلك إلى ما أُثر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الهادين، للنهي الصادر عنهم عن التفسير بالرأي.

فكل من فسّر القرآن بأسره، أو اهتم ببعض سوره وآياته، أو بحث في علومه وأسراره لم ير بداً في ذلك من اللجوء إلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أثر عن علي عليه السلام وأولاده الميامين.

وقد بذل جمع من علمائنا الفطاحل في مختلف العصور عناية خاصة بتفسير سورة الفاتحة، وكشف شيء من غوامضها وأسرارها، وبيان ما اشتملت عليه من العلوم العقلية والنقلية، وأفردوا لها تفسيراً لجامعيَّتها ولأنها أم القرآن وأساسه.

ومن تلك الصفوة الخيِّرة، والسلف الصالح، شيخ الحفاظ والمحدّثين شيخنا الوالد الأميني(طاب ثراه) فهو من أعلام الإسلام الذين نذروا حياتهم، وضحوا بأنفسهم، وكرّسوا جلّ طاقاتهم في سبيل إعلاء كلمة الدين، ونشر الإسلام، وخدمة الصالح العام، غير عابئين بالراحة والاستقرار، واستطاعوا بمثل هذا التفاني والجهاد في خدمة المذهب توسعة دائرة التبليغ الديني، ونشر معارف الإسلام إلى العالم من أقصاه إلى أقصاه، والسير بالمسلمين نحو الرقي والكمال.

ولم يكن شيخنا الوالد رحمه الله يحس بخطورة أمر في الحياة أكثر من المسؤولية الدينية تجاه نحلته وأمته، لذلك لم يفتر لحظة من ساعاته عن

التأليف، والمطالعة، والتحقيق، والوعظ، والإرشاد في حضره وسفره، وبذل كل غال ورخيص دون الحفاظ على التراث الإسلامي، وصيانته عن التلف والضياع، غير مبال بثقل العبء وفداحة الجهد، رغم ما نال من تناوشات الحاقدين والمناوئين من كل حدب وصوب.

وقد ترك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثروة علمية ضخمة من التأليف والتحقيق في شتى الحقول والمواضيع الإسلامية من التفسير، والحديث، والتاريخ والعقائد إلى غير ذلك، ومن بينها كتابه هذا«تفسير فاتحة الكتاب» فهو وإن صغر حجمه إلا أن مؤلفه قَدَّسَ سِرَّهُ أودع فيه بحوثاً هامة، وجعله في فصلين: تطرق في الأول إلى تفسير السورة، وفي الثاني إلى تحليلها وبيان شيء من دقائقها، وتوضيح ما يستفاد من آياتها الكريمة في التوحيد والقضاء والقدر والجبر والتفويض، مستفيداً كل ذلك مما روي عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعترته الغر الميامين.

وقد أضفت للكتاب فصلاً ثالثاً هو «تكملة التعاليق» جمعت فيه نصوص الأحاديث التي استدل بها شيخنا الوالد ضمن حديثه في الفصلين المذكورين.

ولشيخنا الوالد طاب رمسه دراسات قرآنية في تفسير وتوضيح جملة من الآيات الكريمة والكلام حول مفادها ومنطوقها، وبيان شأن نزولها. غير أن انصرافه إلى سِفره الخالد «الغدير» لم يدع له مجالا لطبع آثاره هذه ونشرها، فمن تصانيفه في التفسير كتاب في تفسير قوله تعالى:
﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ

مِّن سَبِيلٖ ﴾(١).

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾(٢).

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴾(٣).

وكتاب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٤).

وفي الأجزاء المطبوعة والمخطوطة من كتاب «الغدير» بحوث تحليلية مسهبة، ودراسات وافيه لطائفة من الآيات الكريمة النازلة في العترة الطاهرة وهي قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(٥).

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(٦).

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾(٧).

---

(١) سورة غافر/ الآية١١/ .

(٢) سورة الأعراف/ الآية١٧٢/ .

(٣) سورة الواقعة/ الآية٧/ .

(٤) سورة الأعراف / الآية١٨٠/ .

(٥) سورة المائدة/ الآية٦٧/ .

(٦) سورة المائدة/ الآية٣/ .

(٧) سورة المعارج/ الآية١/ .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾[2].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[5].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[6].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7].

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[8].

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[9].

---

(١) سورة الزمر/ الآية٢٢/ .

(٢) سورة السجدة/ الآية١٨/ .

(٣) سورة الانفال/ الآية٦٢/ .

(٤) سورة الانفال/ الآية٦٤/ .

(٥) سورة الاحزاب/ الآية٢٣/ .

(٦) سورة المائدة/ الآية٥٥/ .

(٧) سورة التوبة/ الآية١٩/ .

(٨) سورة مريم/ الآية٩٦/ .

(٩) سورة الجاثية/ الآية٢١/ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[١].

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٢].

﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٣].

﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ﴾[٤].

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[٥].

إلى عشرات عدة من الآيات الكريمة النازلة في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وعترته الطاهرين، مدعمة بالأحاديث النبوية الشريفة.

وكان في نيّة شيخنا الوالد رحمه الله إفراد مؤلّف لهذه الآيات وقد جمع الكثير منها في مجموعة خاصة أسماها «الآيات النازلة في العترة الطاهرة» إلا أنه وبعد أن تصدى في الجزء الرابع عشر من سفره الخالد «الغدير» إلى تصحيح أسانيد ما أثر من المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عترته الهادين في بحث «مسند المناقب ومرسلها» دمج بحوث تلك الآيات في ذلك واستغنى عن تصنيف كتاب مستقل فيه.

وهذا التفسير «فاتحة الكتاب» هو باكورة تصانيف شيخنا الوالد(طاب ثراه) وأولى خطواته في التأليف، لذلك كان يرى من الضروري إعادة النظر فيه لتهذيبه وتنقيحه والتبسط في بحوثه وفصوله، وإعطاء البحث

---

(١) سورة البينة/ الآية ٧/ .

(٢) سورة العصر.

(٣) سورة الشورى/ الآية٢٣/ .

(٤) سورة الأعراف/ الآية٤٦/ .

(٥) سورة الإنسان/ الآية١/ .

حقه في شتى نواحيه، والتوسع في مصادره، وتطوير بيانه.

إلا أن انهماكه وانكبابه ليل نهار على بحوث سفره الخالد «الغدير» ومسؤولياته تجاه مكتبته العامة العالمية لم يدعا له مجالاً للمبادرة إلى تحقيق سائر أمانيه وآماله.

و«مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف الأشرف» هي من حسنات الدهر ومآثر شيخنا الوالد: الأميني طاب ثراه.

فهو رحمه الله خلال نهضته العلمية، وخوضه ميدان التأليف والتحقيق وقف على ما كان يعانيه المؤلف والمحقق في جامعة النجف الأشرف من عناء دون الحصول على بغيته من المصادر المطبوعة والمخطوطة الخاصة ببحثه ودراسته.

إن مسيس حاجة جامعتنا الاسلامية الكبرى(النجف الأشرف) إلى مكتبة عامة تضم كلَّ ما يتطلبه الباحث والمؤلف من مصادر ووسائل الراحة والاستقرار في سبيل هدفه السامي، وتحقيق رسالته الخالدة دعت شيخنا الأميني إلى أن يشمر عن ساعد الجد بإنشاء هذه المكتبة العامة التي هي من أياديه البيضاء، ومساعيه المشكورة، وحسناته الخالدة في تطوير الحركة العلمية، ورفع المستوى الثقافي لتلك المدينة المقدسة. وستبقى هذه الخدمة الثقافية خالدة على مر العصور، وسيسجل التاريخ بمداد من نور لمؤسسها ـ المجاهد الأميني ـ أجمل آيات الشكر والتقدير لهذه الخطوة الإصلاحية ولما هيأ في ذلك الصرح الإسلامي من وسائل في تطوير الحركة العلمية، والنهوض بالنشاط الفكري، وسدّ حاجة العلماء والمثقفين والباحثين من المصادر الإسلامية.

إن المكتبة قد ـ أسدت منذ تأسيسها حتى حين ـ خدمات علمية وثقافية كبرى للملأ الثقافي، واستطاعت بسعي مؤسسها وباني كيانها، وبجهود القائمين على إدارتها تمهيد الجو الملائم لمطالعة ٤٥٨٠٠ شخصاً ـ عشرة أشهر في كل عام ـ من الواردين إليها للمطالعة من العراق والبلاد العربية الإسلامية، واقتنت خلال أعوام قصيرة كمية ضخمة من المصادر المطبوعة والمخطوطة في شتى العلوم والفنون وبمختلف اللغات، كما صوّرت مكتبة من المخطوطات الفريدة النفيسة من كتب المكتبات العامة في البلاد الإسلامية وغيرها على أشرطة المايكروفلم، ونقلت جملة وافية منها على الورق الخاص (المحّسس) وجعلتها في متناول أيدي المراجعين والباحثين.

وإلى جانب هذه الخدمات أهدت المكتبة أكثر من ثلاثة آلاف مجلد من المطبوعات العلمية إلى المكتبات العامة، والمجامع الثقافية في العالم.

إن أسرة تولية مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام القاطنين في طهران رأت من الضروري تأسيس فرع للمكتبة بطهران عاصمة الدولة الشيعية تخليداً لذكرى مؤسس هذا الصرح العلمي، ولتحقيق أهدافه والسير على خطاه في سبيل الدعوة الدينية، ونشر التراث العلمي لسلفنا الصالح وفي مقدمها تآليف شيخنا الراحل بطل الجهاد الديني: الأميني رحمه الله (المخطوطة والمطبوعة) وتعميم الاستفادة منها في أرجاء المعمورة.

وتحقيقا لجزء من هذا الهدف السامي ارتأت إصدار سلسلة تضم بحوثاً ودراسات علمية في التفسير، والحديث، والتاريخ، والعقائد،

بقلم كبار المؤلفين والباحثين من علماء الإسلام الفطاحل معنونة بـ «ذخائر الفكر الإسلامي» وتيمناً بذكر كتاب الله الكريم جعلت العدد الأول من السلسلة المذكورة هذا الأثر الخالد «تفسير فاتحة الكتاب».

ومن الله نستمد العون والتوفيق في إدامة هذا النضال الديني وإقامة هذا المشروع العلمي المقدس.

والله من وراء القصد وإليه السبيل.

الأمين العام للمكتبة

رضا الأميني النجفي

الفصل الأول

تفسير السورة

أسماء السورة وجامعية السورة للعلوم

القرآنية. النواحي المشتركة بين الفاتحة

والقرآن. الاستشفاء بالفاتحة.

في الأمل بغير الله.

وفي الرياء والسمعة.

وفي الحقد والحسد.

وفي الشح والبخل.

وفي الجبن والأمل.

أسماء السورة وجامعية السورة للعلوم

هذه السورة الكريمة تسمى بأسماء تعرب عن فوائد جمة لا يستهان بها، منها:

«المثاني»: كما فيما رواه العياشي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا كانت لك حاجة فاقرأ «المثاني» وسورة أخرى، وصل ركعتين، وادع الله قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: فاتحة الكتاب». الحديث[1]

و: **«السبع المثاني»**: كما وردت في غير واحد من الأخبار[2].

وقد سماها المولى سبحانه بهذا الاسم في كتابه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[3].

وهذه الآية تقرئنا دروساً عالية في جامعية هذه السورة لكليات ما يوجد في الكتاب الكريم من المعارف الإلهية، والعلوم الدينية، وتعرب عن أنها صورة مصغرة للقرآن وهي مجملة وهو يفصّلها، ولذلك قابل

---

(١) تفسير العياشي ج١: ٢٢ط - قم: ١٣٨٠هـ.

(٢) روى الصدوق في عيون أخبار الرضا ج١: ٣٠٠، قال: «قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن «بسم الله الرحمن الرحيم» أهي من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها ويعدها آية منها، ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني».
وفي هذا المعنى احاديث أخرى أوردناها في الفصل الثالث، التعليقة رقم١.

(٣) سورة الحجر/ الآية٨٧/ .

بينهما وجعل الامتنان بها على النبي الأعظم قرين الامتنان بالقرآن العظيم، كما نص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث ورد في شأن الآية الشريفة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بأزاء القرآن العظيم»(١)، فهذا الإفراد يوعز إلى جامعية السورة، كما يعرب عنها تسميتها بـ:

«**أم الكتاب**»: كما في حديث العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام(٢) وفي حديث آخر في ثواب الأعمال عنه عليه السلام(٣) وفي ثالث رواه علي بن إبراهيم في تفسيره عنه أيضاً(٤) وكذلك تسميتها بـ:

«**أم القرآن**»: كما في رواية علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبي عبد الله عليه السلام(٥) وذلك أن أم الشيء هو جامعه والاصل الذي يتفرع منه، كما يقال لمكّه أمّ القرى، لدحو الأرض من تحتها، وللجلدة الجامعة لأجزاء الدماغ أم الرأس، وللنار المحيطة على العصاة أمّ الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ﴾(٦) فيظهر من هذه كلها أن في هذه السورة دروساً عالية من المعارف الإلهية، وعلوماً جمة مما يفصِّله القرآن العظيم، وهي فذلكة ذلك التفصيل ويوجد فيها ما أودع الله في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء.

وهذا سر ما ورد في الحديث النبوي على المحدِّث به وآله الصلاة

---

(١) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٢.

(٢) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٣) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٤) راجع ألفاظ أحاديثها في الفصل الثالث، التعليقة رقم-٣.

(٥) لم نقف على الحديث في تفسير القمي، وقد أوردنا جملة مما أُثر عن المعصومين عليهم السلام وسمى فيها فاتحة الكتاب بـ«أم القرآن» في الفصل الثالث، التعليقة رقم٤.

(٦) سورة القارعة/ الآية٩/ .

والسلام من قوله: «أيّما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن»[1].

وفي الخصال، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ فاتحة الكتاب أعطاه الله عزوجل بعدد كل آية أُنزلت من السماء ثواب تلاوتها»[2].

وجامعية هذه السورة تقرر معاني شتى ووجوها مختلفة، فمنها:

أولاً: إن الكتاب الكريم إنما يحتوي بكلِّه علوماً من وجوه ثلاثة من حيث المبدأ، والمعاد والوسط بينهما، وهذه السورة تجمع هذه النواحي الثلاث كما تحتوي أوجه العلوم بأسرها، فقوله تعالى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾:

قال العسكري سلام الله عليه: «أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لاتحق العبادة إلا له، المغيث اذا استُغيث، والمجيب إذا دُعي، و«الله» هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، وتقطع الأسباب من كل من سواه». وقوله:

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾:

فيه إيعاز إلى أن النعم المبثوثة في النشأتين، العاجلة، والآجلة كلها منه تعالى، وله الرحمة العامة في الدنيا، والخاصة في الدار الآخرة.

---

(١) روى المجلسي في البحار ج٩٢: ٢٥٩ قال: «وذكر الشيخ أبو الحسن المقرئ في كتابه في القراءات، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم، وعبد الله بن محمد، عن إبراهيم ابن شريك، عن أحمد بن يونس، عن سلام بن سليمان، عن هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن أبي أمامة، عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب، أُعطي من الأجر كأنما قرأ ثلثي القرآن، وأُعطي من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة.

وروى من طريق آخر هذا الخبر بعينه إلا أنه قال: «كأنما قرأ القرآن».

(٢) رواه الشيخ المجلسي في البحار ج٩٢: ٢٥٨، عن«جامع الأخبار» وفيه «...أنزلت من السماء، فيجزى بها ثوابها».

روي أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق، ولا يقطع عنهم مواد رزقه وإن انقطعوا عن طاعته، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.

قال الإمام العسكري عليه السلام «﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق قال: ومن رحمته أنه لمّا سلب الطفل قوة النهوض والتغذّي جعل تلك القوة في أمه، ورفقها عليه لتقوم بتربيته، وحضانته، فإن قُسي قلب أم من الأمهات أوجب تربية هذا الطفل على سائر المؤمنين، ولمّا سُلب بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها، والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد لتنهض حين تولد وتسير إلى رزقها المسبب لها».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : «رحيم بعباده المؤمنين، ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فيها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنو الأمهات من الحيوانات على كل أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد، ثم يشفِّعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملَّة»[1].

وعنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إن قولك «الله» أعظم الاسماء من اسماء الله، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يُسمَّى به غير الله، ولم يَتَسمَّ به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قوله «الله»؟

قال: هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق، عند

---

(١) هذه الجمل من تفسير الامام العسكري عليه السلام. وقد أكثر النقل عنه شيخنا الوالد رحمه الله طيّ بحثه، ولما فيه من فوائد وفرائد آثرنا نقل ما يخص بتفسير فاتحة الكتاب بنصه في الفصل الثالث، التعليقة-٥ فراجع.

انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطّع الأسباب من كل من سواه. وذلك أن كل مترئس في هذه الدنيا، ومتعظم فيها وإن عظم غناؤه وطغيانه، إذا كثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كُفي همّه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[1] فقال الله عَزَّوَجَلَّ لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد الزمتكم الحاجة إلي في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإليّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فإني إن أردت أن أُعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق مَن سُئل، وأولى من تُضرِّع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لاتحق العباده لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا، ودنيانا، وآخرتنا، خفف الله علينا الدين وجعله سهلا خفيفاً وهو يرحمنا بتميزنا عن أعدائه» الحديث[2]، وقوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

فيه إيعاز إلى أن جميع ما في العالمين ينتهي إلى الله تعالى من حيث مبدئه، وهو يربِّيه، ويدير شؤونه في جميع عوالمه، وهو المنعم على

---

(١) سورة الأنعام / الآية ٤٠-٤١/ .

(٢) التوحيد ص٢٣١- ٢٣٢، بحار الأنوار ج٢: ٢٣٢.

الكل.

روي عن السجاد عليه السلام: «أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرني عن قوله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ما تفسيره؟ فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو أن عرَّف الله عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني مالك العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق، من الجمادات والحيوانات. فأما الحيوانات فهو يقلّبها في قدرته، ويغذوها من رزقه ويحوطها [يحفظها] بكنفه، ويدبّر كلاً منها بمصلحته، وأما الجمادات فهو يمسكها بقدرته، يمسك ما اتصل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره، إنه بعباده لرؤوف رحيم».

وقال عليه السلام: و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث هم يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أيِّ سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متَّقٍ بزائده، ولا فجورُ فاجرٍ بناقصه، وبينه وبينه ستر، وهو طالبه، ولو أن أحدكم يتربص رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت»[1]. وقوله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه على التفصيل الذي أسلفناه وقوله تعالى:

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:

---

(١) جزء من تفسير الإمام العسكري عليه السلام، راجع الفصل الثالث التعليقة-٥.

اقرار له بالبعث، والحساب، والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة للمولى سبحانه، كإيجاب ملك الدنيا.

وفي الحديث: «أي قادر على إقامة يوم الدين، وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه عن وقته، وتأخيره بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق، لا يملك الحكم والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام»(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الديلمي: «أما قوله: مالك يوم الدين: فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، وكل من كان في الدنيا شاكّاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله عزّ وجلّ شاكٌّ ولا جبّار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً حافظاً إياه أدخله الجنة برحمته»(٢). وأما قوله تعالى:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

ففي الحديث: «قال الله تعالى: قولوا يا أيها الخلق المنعم عليهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أيها المنعم علينا، نطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلارياء ولا سمعة».

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، ونتقي من دنيانا ما عنه نهيت، ونعتصم من الشيطان الرجيم، ومن سائر مردة الجن والإنس من المضلين، ومن المؤذين الظالمين، بعصمتك»(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قال الله عزّ وجلّ قولوا: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) جزء من تفسير الإمام العسكري عليه السلام، راجع الفصل الثالث التعليقة-٥.

(٢) جزء مما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملك الروم حين سأله عن تفسير فاتحة الكتاب، راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-٦.

(٣) تفسير الإمام العسكري، راجع الفصل الثالث، التعليقة -٥.

على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، ورد مكائدهم، والمُقام على ما أمرتنا به»[1].

أقول: لمّا بين المولى سبحانه وتعالى في الآيات الأُول ما يهم من معرفة المبدأ والمعاد، وأعلم العباد بأنه هو رب العالمين، وإليه مصير كل شيء، وله الملك في النشأتين، والرحمة والنعمة في العاجل والآجل وبذلك استحق الحمد والثناء عليه، وعلى العالمين أن تخضع له الرقاب ولتضع عليها نير المذلة بالعبودية، فأراد بيان المذهب الحق في أفعال العباد من حيث الجبر والتفويض، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مشيراً إلى أن أفعال العباد مخلوقة لهم بحول وقوة منه تعالى، وأن العبودية المطلوبة للمولى سبحانه وتعالى، إنما هي العبادة الخالصة الصادرة من العباد بإرادتهم واختيارهم، مستعيناً من الله على طاعته، وتأدية فروضه، واستكمال سنّته، وهذا معنى الأمر بين الأمرين المستفاد من نفي الجبر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونفي التفويض بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وبهذه الآية الشريفة استدل الامام أبو عبد الله عليه السلام على القدري كما ورد في تفسير العياشي بإسناده، عن بعض أصحابنا قال: «بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة أن وَجِّه إليَّ محمد بن علي بن الحسين[2] ولا تهيِّجه ولاتروِّعه، واقض له حوائجه، وقد كان ورد على عبد الملك رجل من القدرية، فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً، فقال: ما لهذا إلا محمد بن علي، فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمد بن علي إليه، فأتاه صاحب المدينة بكتابه، فقال له أبو

---

(١) تفسير الإمام العسكري، راجع الفصل الثالث، التعليقة-٥.

(٢) يعني الإمام الباقر عليه السلام.

جعفر عليه السلام : إني شيخ كبير لا أقوى على الخروج، وهذا جعفر ابني يقوم مقامي، فوجّهه إليه فلمّا قدم على الأموي أزراه[1] لصغره، وكره أن يجمع بينه وبين القدري مخافة أن يغلبه، وتسامع الناس بالشام بقدوم جعفر لمخاصمة القدري، فلمّا كان من الغد اجتمع الناس لخصومتهما، فقال الأموي لأبي عبدالله عليه السلام : إنه قد أعيانا أمر هذا القدري وإنما كتبت[إلى أبيك] إليك لأجمع بينك وبينه، فإنه لم يدع عندنا أحداً إلا خصمه، فقال: إن الله يكفيناه، قال: فلما اجتمعوا، قال القدري: لأبي عبد الله عليه السلام سل عما شئت فقال له: اقرأ سورة الحمد، قال: فقرأها وقال الأموي ـ وأنا معه ـ ما في سورة الحمد علينا، إنّالله وإنّا إليه راجعون! قال: فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتى بلغ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال له جعفر عليه السلام : قف، من تستعين، وما حاجتك إلى المعونة؟ إن كان الأمر إليك؟ فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين»[2]. وأما قوله تعالى:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

فبعد بيان جوامع العلوم من ناحيتي المبدأ والمعاد، وإيضاح وظيفة العبودية، وتبيين القول الفصل فيها، أشار المولى إلى أعظم المقاصد، ألا وهو الاهتداء بالله تعالى إلى الصراط المستقيم، والسؤال من حضرته الثبات على الهدى، والاسترشاد لدينه، والاعتصام بحبله، واستزادة المعرفة له، والتجنب عن سلوك جادة المغضوب عليهم والضالين، التي سنوقفك على بيانها.

فهذه ناحية من نواحي جامعية الفاتحة الشريفة للعلوم القرآنية.

---

(١) أزراه: عابه ووضع من حقه.

(٢) البحار ج٩٢: ٢٣٩-٢٤٠، تفسير العياشي ج١: ٢٣.

وثانياً: ان مهمات المقاصد الشريفة في الكتاب الكريم من المعارف الروحية والدينية يجمعها أصول الدين والمذهب وفروعهما، والفاتحة الشريفة حاوية لمجمل الحقَّين، جامعة للأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والنبوة والإمامة والمعاد، دالة على العبودية المؤداة بالفروع، معربة عن المذهب الحق فيها، فهي بقوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

«تُعرِب عن الوحدانية الكبرى، والقيّوميّة الأحديّة الذاتيّة والربوبيّة السرمديّة، والسيادة الدائمة الإلهية، والملك الباقي الذي لم يزل ولا يزال، والنعم السابغة الواصلة منه إلى عامة الخلق، والرحمة البالغة الخاصة بالمؤمنين، وقد تتضمن الرحمة لعامة الخلق في الملك والملكوت كمال العدل، وتنبىء عن اتصافه تعالى بأرقى مراتبه وأعلى مدارجه، فهذه جوامع صفات ذاته، وصفات فعله، وهي تدل على المعاد وإياب الخلق إلى الله تعالى، ومصيرهم إليه: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[1].

ثم بعد الإيعاز إلى العبودية الجامعة للفروع، وبيان الاعتقاد الصحيح في أفعال العباد، أمر عباده بالاهتداء بالصراط المستقيم، وهو الطريق الحق المبين، الموصل إلى الله، المنتهي إلى مرضاته، وليس ذلك إلا الطريق الذي يسلكه من له الولاية على العباد، وإنما تتشعب منها باعتبار الحدوث والبقاء: النبوة والإمامة، ويملك أزمّتها النبي الأعظم بالاعتبارين، ووصيّه الطاهر بالاعتبار الثاني، ومن اهتدى بهما فقد هدي إلى الله، وأطاع الله ورسوله﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ

---

(١) سورة النجم / الآية ٣١/.

ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[1]. فيمكن حينئذ إرادة وجوه ثلاثة من قوله تعالى:

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾:

الأول: اليهود من المغضوب عليهم، والنصارى من الضالين.

الثاني: النصّاب من المغضوب عليهم، والشاكّين الذين لا يعرفون الإمام من الضالين.

الثالث: إرادة اليهود والنصارى من المغضوب عليهم، وإرادة الناكبين عن أمير المؤمنين عليه السلام من الضالين. ولكل واحد منها شواهد ودلائل:

أما الوجه الأول:

فروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أمر الله عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾[2]، وأن يستعيذوا به عن طريق الضالين، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] وهم النصارى» الحديث[4].

ويؤيد إرادة اليهود من ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ قوله تعالى في سورة

(١) سورة النساء / الآية ٦٩/ .

(٢) سورة المائدة / الآية ٦٠/ .

(٣) سورة المائدة / الآية ٧٧/ .

(٤) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث، التعليقة-٥ .

المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[1] قالوا المراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون إليهم أسرار المؤمنين[2].

ويؤيده أيضاً قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾[3]. والمراد منهم اليهود كما نص عليه المفسرون[4].

وأمّا الوجه الثاني:

يدل عليه ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المغضوب عليهم النصّاب والضالين الشكّاك الذين لا يعرفون الامام»[5].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام : «من تجاوز بأمير المؤمنين عليه السلام العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين»[6].

ويؤيد هذا الوجه، بما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. فيما رواه العياشي في تفسير الفاتحة، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد

---

(١) سورة المجادلة / الآية ١٤/ .

(٢) مجمع البيان ج٩: ٢٥٣، تفسير الرازي ج٢٩: ٣٠٩.

(٣) سورة الممتحنة / الآية ١٣/ .

(٤) راجع تفسير الخازن ج٤: ٢٨٠، تفسير الكشاف ج٤: ٩٥، مجمع البيان: ج٩: ٢٧٦، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج٦: ٢١١ وقال: «أخرج ابن اسحاق وابن المنذر، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادّون رجالاً من يهود فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾. الآية.

(٥) روى علي بن ابراهيم القمي في تفسيره ج١: ٢٩ قال: «حدثني أبي، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» قال: المغضوب عليهم : النصاب والضالين: الشكاك الذين لا يعرفون الإمام». ورواه المجلسي في البحار ج٩٢: ٢٣٠، والحويزي في تفسير نور الثقلين ج١: ٢٠.

(٦) راجع الفصل الثالث،التعليقة-٥.

الله عليه السلام قال: «﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. يعني أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

وما رواه علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2]. وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب وفي قوله: الصراط المستقيم»[3].

ويعتضد هذا الوجه بغير واحد من الآيات الواردة فيها الصراط المستقيم:

كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[8].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[9].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ

---

(١) تفسير العياشي ج١: ٢٤، البحار ج٩٢: ٢٤٠.
(٢) سورة الزخرف / الآية ٤/.
(٣) تفسير القمي ج١: ٢٨، تفسير نور الثقلين ج١: ١٧.
(٤) سورة الأنعام / الآية ١٥٣/.
(٥) سورة الأعراف/ الآية ١٦/.
(٦) سورة الشورى / الآية ٥٢/.
(٧) سورة الحجر / الآية ٤١/.
(٨) سورة الزخرف / الآية ٤٣/.
(٩) سورة الملك / الآية ٢٢/.

مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فان هذه الآيات وردت فيها أحاديث كثيرة بأن المراد من: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فيها هو أمير المؤمنين عليه السلام[2].

وأما الوجه الثالث:

هو إرادة اليهود والنصارى من: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإرادة المخالفين النصّاب والشكّاك من: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾.

والأول: بقرينة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[3] وقد فسر المحاجّون في الله باليهود والنصارى[4].

والثاني: بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[5].

وقد ورد في هذه الآية بطرق العامة والخاصة: إن الضالين هم النفر الذين نالوا من أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا قد افتتن به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾[6].

هذه ناحية هامة من جامعية الفاتحة الشريفة لعلوم القرآن الكريم حافلة بمهمات المسائل، ورؤوس المطالب، وهي كما ترى تنم عن دروس عالية مما يوجد في الكتاب، وتعرب عن فصول كثيرة من

---

(١) سورة يونس / الآية ٢٥/.

(٢) راجع الفصل الثالث، التعليقة-٧.

(٣) سورة الشورى / الآية ١٦/.

(٤) مجمع البيان: ج٥/ ٢٦.

(٥) سورة النحل / الآية ١٢٥/.

(٦) سورة القلم / الآية ١/، والحديث أخرجه الشيخ الطبرسي في مجمع البيان ج٥: ٣٣٣.

المعارف الإلهية، ومباحث ضافية من العلوم الراقية الدينية المفصّلة في القرآن العظيم، يحقّ بها أن يمن المولى سبحانه على نبيِّه الأعظم بالفاتحة ويفردها بالذكر.

النواحي المشتركة بينها وبين القرآن الكريم

إن جوامع المعارف الإلهية إنما هي الحمد، والثناء، على الله، والتمجيد، والعبودية، وكلٌّ واحد منهما يتضمن أمهات العلوم، وأصول الدروس الدينية، ولا يتم إلا بمعالم جمة، ومعارف كثيرة لا يستهان بها.

أما الحمد: فهو فرع معرفة النعم والمنعم، ولا يتأتى إلا بعد التوحيد، ولا يتم من دون عرفان تفاصيل النعم، والاعتراف بأن جميع ما يجده العباد من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى إنما هو من المولى سبحانه، وهو كما ترى غاية المبادئ الإلهية، ونتيجة المعارف الدينية، وفرع الوقوف على الأصول، وآخر دعوى المتألهين، كما قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وأما الثناء: فحده ذكر الممدوح بصفاته وفعاله وجماله وجلاله، فالثناء على المنعم تعالى يستدعي الاطلاع على صفاته، ويستلزم الوقوف على أن يصدر من المبدأ الأعلى من فعاله الحسنة، وما أفاضه لعباده من فضله العميم، ويتضمن معرفة ما يوصف به من رحمة ومنَّة،

---

(١) سورة يونس / الآية ١٠ /.

ولطف وعطف، وحنان وعفو، وكرم، وخَلق، ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك من صفات جلاله وإكرامه.

وأما التمجيد: وهو اقتران شرف الذات بحسن الفعال، فحاجته إلى معرفة صفات الذات وصفات الفعل مما لا يخفى، كما أن الاعتراف بذل العبودية والفقر والفاقة إلى الله والاستعانة به تعالى على النفس في عبادته، والوقوف موقف السائلين، والاهتداء منه تعالى، والاقرار بصراطه المستقيم الذي أنعم الله به على النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين. والتباعد عن نهج المغضوب عليهم والضالين يستدعي الإذعان بمقاصد عالية والاعتقاد بمطالب جمة، ويتضمن كثيراً من المسائل الدينية.

فكما أن القرآن يجمع تفاصيل ما تحويه هذه الجوامع الأربع، فكذلك الفاتحة الشريفة تتضمن نماذج هذه الجوامع، فيوجد في طيها ما يوجد فيه.

وهناك ناحية أخرى وهي أن جميع ما في الكتاب الكريم لا يخلو من وجوه ثلاثة:

قسم يختص بالمولى سبحانه: يفصّل صفات ذاته أو فعاله، ويبين ما ينتهي إليه من المبدأ والمعاد.

وقسم يرجع إلى العباد خاصة من بيان فروع الدين والتكاليف الشرعية ووظائف العباد، والاهتداء بالله، والتمسك بالولاية، وإطاعة أولي الأمر.

وقسم ثالث يشترك بين الله تعالى وبين عباده، كذلك سورة الفاتحة: ثلث من أولها وهي آيات ثلاث تخص بالمولى سبحانه: تفصل صفاته بقسميها، وثلث من آخرها وهي ثلاث آيات أيضاً ترجع إلى العباد من الدعاء والاهتداء بالله والتمسك بالولاية، والتبري عن المغضوب عليهم والضالين عن طريق الولاية، والناكبين عن الحق، وثلث منها

وهي آية واحدة تشترك بين الله وبين عباده وهي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وإلى هذا أشير في الحديث النبوي على محدثه وآله الصلاة والسلام قال: «قال الله تعالى قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي. فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١) يقول الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ يقول الله: أثنى علي عبدي، فإذا قال العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول الله: مجّدني عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخره قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»(٢).

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ جعل فاتحة الكتاب نصفها لنفسه ونصفها لعبده، قال الله تعالى: قسّمت بيني وبين عبدي هذه السورة، فإذا قال أحدهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فقد حمدني، وإذا قال: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقد عرفني، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فقد مدحني، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فقد أثنى عليَّ، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد صدق عبدي في عبادتي بعد ما سألني»(٣).

وروى شيخ الطائفة في الأمالي، وشيخنا الصدوق في العيون، عن محمد بن القاسم المفسر الاسترابادى رضي الله عنه قال: «حدّثنا يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد،

---

(١) الفاتحة: ٢

(٢) مجمع البيان ج١: ١٧، تفسير الفخر الرازي ج١: ٢٧٠، تفسير ابن كثير ج١، ١١.

(٣) البحار ج٩٢: ٢٦.

عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عز وجل: قسّمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل. إذا قال العبد: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله جل جلاله: بدأ عبدي باسمي وحق عليَّ أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله، فإذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله جلَّ جلاله: حمدني عبدي وعلم أن النعم التي له من عندي، وأن البلايا التي دُفعت عنه فبِطَولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله جل جلاله: شهد لي عبدي أني الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرنَّ من رحمتي حظه، ولأجزلنّ من عطائي نصيبه، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال الله جل جلاله: أشهدكم كما اعترف أني أنا مالك يوم الدين، لأسهلنَّ يوم الحساب حسابه، ولأتجاوزنَّ عن سيئاته، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قال الله عز وجل: صدق عبدي إياي يعبد، أشهدكم لأثيبنَّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله عز وجل: بي استعان عبدي والتجأ إلي، أشهدكم لأعيننَّه على أمره، ولأُغيثنَّه في شدائده، ولآخذنَّ بيده يوم نوائبه، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، فقد استجبتُ لعبدي، وأعطيتهُ ما أمل، وآمنته مما منه وجل»[1].

وأهم نواحي جامعية الفاتحة الشريفة لما يجمعه القرآن الكريم هو المضاهاة في وجوه الشفاء، فكما أنَّ القرآن الكريم فيه شفاء من شتى

(١) عيون أخبار الرضا ج١: ٣٠٠، البحار ج٩٢: ٢٢٦-٢٢٧.

النواحي لما يوجد في الأبدان والقلوب من الأمراض والعلل الكثيرة، كذلك هذه السورة بوحدتها تجمع وجوه الشفاء التي توجد في القرآن، ومن هنا سميت بالشفاء[1] والذي يهمنا في المقام هو بيان تعلل القلب ثم كيفية العلاج بالفاتحة الشريفة، فأقول: كما أن للأبدان صحة ومرضاً، ودواء وغذاء، فكذلك للقلوب صحة ومرض[2] ودواء وغذاء، وذلك لأن الصحة صفة توجب صدور الأفعال عن موضوعها مستقيمة سليمة على ما وضع عليه، والمرض هو إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، والخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان الذي يوجب وقوع الأفعال عندئذ مختلة، فترد هاتين الصفتين المتقابلتين على الأبدان والقلوب على شرع سواء، ويتصور اعترأوهما عليهما على نهج واحد من ترتيب الآثار وعدمه، فكما أن بالأمراض الجسمية تضعف الأبدان والأعضاء العنصرية وهي تمنع عن التصرف الكامل في شؤونها،

(١) روى العياشي عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبيﷺ قال قال رسول اللهﷺ لجابر ابن عبد الله: «يا جابر ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علِّمْنيها، قال: فعلَّمه الحمدلله أم الكتاب، قال: ثم قال له: يا جابر ألا اخبرك عنها. قال: بلى بأبي أنت وأمي فأخبرني قال: هي شفاء من كل داء إلا السام يعني الموت».

تفسير العياشي ج١: ٢٠، تفسير البرهان ج ٤، البحار ج١: ٤٢.

وروى الفخر الرازي في تفسيره ج١: ١٧٦ «عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللهﷺ: فاتحة الكتاب شفاء من كل سم.

ومر بعض الصحابة برجل مصروع فقرأ هذه السورة في أذنه فبرئ فذكروه لرسول اللهﷺ فقال: هي أم القرآن، وهي شفاء من كل داء».

(٢) روى الصدوق في الخصال ج١: ٣١، عن الخليل بن أحمد، عن محمد بن إبراهيم الديبلي، عن أبي عبد الله«المروزي» عن سفيان، عن مجاهد، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول اللهﷺ: في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحت سلم بها سائر الجسد، فإذا سقمت سقم لها سائر الجسد وفسد وهي القلب.

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة ذكرنا شطرا منها في الفصل الثالث، التعليقة-٨.

وتقصر عن القيام بوظيفتها، والبلوغ إلى اقتناء بغيتها، فبالأدواء والعلل الروحية، تكسف القلوب وتضيق الصدور، وتمنع عن إدراك الفضائل، واقتناء الكمالات الروحية، والارتقاء إلى مدارج السعادة والبلوغ إلى عالم النور، والسير في عوالم الحقيقة إلى أن تحتجب بها عن المبدأ الأعلى، وتنقطع عن المولى سبحانه، وتحرم عن كل نعمة ومنة.

وكما أن الأمراض الجسمية منها ما يمنع البدن عن كمال الاستفادة من الروح البخاري والاقتباس النهائي عن الحياة الجسمانية، ومنها ما يميت الانسان ولايقبل العلاج، بل يقطعه عن الروح بتاتاً، ويوجب الانفصال بينهما، كذلك الرذائل الخلقية، والأدواء الروحية، والعلل القلبية منها ما يمنع القلب عن تحصيل الكمالات في الحياة الأخروية، والنزوع إلى الدار الآخرة التي هي الحيوان، ويؤثر نحواً من الانقطاع عن روح الإيمان والنزوع عنها، كما ورد في قولهم عليهم السلام: «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»[1] وهكذا وهكذا.. وذلك في الصغائر من السيئات، والذمائم من الصفات التي تقبل العلاج.

ومنها ما هو سم قاتل غير قابل للعلاج إذا استولى واستحكم فيه، يوجب الانقطاع التام عن روح الإيمان، فتنزع عنه الحياة الدينية. كالجهل المركب والنفاق، والجحود، والشك، والعناد، واللداد، إلى غير ذلك من المهلكات، فهي تميت صاحبها، وتجعله ميتاً بين الأحياء، إذ حياة القلب: بنور الايمان بالله واليوم الآخر، والفعل الخاص به من الذكر والطاعة والعبودية، كما أن حياة البدن: بقوة الحس والحركة والفعل

---

(١) في الكافي ج٢: ٢٨٤، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حكيم قال: «قلت: لأبي الحسن عليه السلام: الكبائر تخرج من الإيمان؟ فقال: نعم وما دون الكبائر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن».
ولتوضيح المراد من هذا الحديث راجع الفصل الثالث، التعليقة-٩.

الخاص به من الأكل والشرب والمشي وغيرها.

وكما أن الأمراض الجسدية توجب ميل صاحبها إلى الأشياء المضرة والأغذية التي لا يصلح تناولها في تلك الحال، وتحرص لما يمنع منه، كذلك الأمراض الروحية توجب ميل النفس الى ما يفسد القلب ويعميه ويصمُّه ويبكمه، وتعطفه الى رديِّ الخلايق، وتميله إلى العشرة الذميمة التي تميت القلب من محادثة الجهال، ومعاداة العلماء، ومجالسة الأغنياء، ومسامرة النساء، ومجاملة الأدنين، ومداهنة الفاسقين ومكاشرة الأصدقاء.

وكما أن الصلة بين الروح والجسد إنما تدور مدار صلاحه وصحته، واعتداله واستقامته، والقيام بواجب أمره، وتختلف مدارجها باختلاف الصحة والصلاح، وتزيد وتنقص بالزيادة والنقصان فيهما، بحيث كلما زاد اعتدال عضو من الأعضاء وبدا فيه الصلاح، وظهرت فيه الصحة: زاد توجه الروح إليه، ويشتد الحب والعلائق بينهما إلى أن ينتهي إلى أقصى المدارج، ويكمل بتمام الصحة، وانتهاء الصلاح إلى غايته، ومثله في جانب التسافل والتنازل مهما يشتد عليه المرض الي أن ينتهي إلى التقاطع والانفصال فتعرض الروح عن العضو الفاسد وترتضي قطعه وفصله عنه. وكذلك الحب والعلائق الكائنة بين القلوب والأرواح، وبين من خلقها أو من خلقت له، إنما تختلف بمدارج صحة القلوب وصلاحها، وتدور مدار حياتها، ونورانيتها واعتدالها على ما خلقت له وكلفت به، ولا تتم سلامة القلب إلا بالتوحيد، والعلم والمعرفة، والذكر، والموعظة، وترك الشهوات، فإن التوحيد، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «حياة النفس، والعلم محيي النفس، والمعرفة نور القلب، والذكر نور العقول وحياة النفوس وجلاء الصدور، والمواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب،

والشهوات سموم قاتلات، والانقياد للشهوات من أدوى الداء، والشهوات أعلال قاتلات، وأفضل دوائها اقتناء الصبر عنها»[1].

وهذه كلها يجمعها العلم، والصبر بالطاعة وترك المعصية، ويجمعها التقوى، فالقول الفصل أن صحة القلب وسلامته الواردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2] إنما هي بالتقوى والعلائق، والروابط الروحية إنما تدور على التقوى، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] إذ حقيقة التقوى تخلية القلب عن العلل وتعريته عن الأمراض، والاتقاء عما يفسده ويمرضه من اعتقاد وعمل، فالتقوى عبارة أخرى عن صحة القلب، كما ينم عن ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب»[4]، وقد عبر المولى سبحانه عن مرض القلب وصحته بالفجور والتقوى فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[5].

وكما أن لكل عضو من البدن مرضاً يخصّ به وداء يعلله ويمرضه، كذلك أدواء القلب كل واحد منها يؤثر فيه نحواً من الأثر، ويوجب كل من العلل الروحية والذمائم النفسية فساداً خاصاً في القلب، ويخرجه عن الاعتدال، ويكشف عن أثره الخاص الوارد على القلب من عمى وصمم وبكم وغيرها.

---

(١) الغرر والدرر للآمدي.

(٢) سورة الشعراء / الآية ٨٨-٨٩/ .

(٣) سورة الحجرات / الآية ١٣/ .

(٤) نهج البلاغة - الحكم: ٣٨٨.

(٥) سورة الشمس / الآية ٧-٨/ .

فمنها: ما يعمي بصره فلا يستطيع صاحبه أن يرى الآيات الإلهية، ويشاهد الحق، ويكره أن ينظر إلى مالا يلائمه ما دام عليه ذلك المرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾[1] وقال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[2] وقال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

ومنها: ما يصمّ القلب ويحدث في أذنه وقراً فلا يتمكن المبتلى به أن يسمع الحق ويصغي إلى المعارف الإلهية ويصيخ إليها، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[4] وقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[5] وقال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[6].

ومنها: ما يكسف القلب ويسلب عنه الفهم والفقه والتدبر في آيات الله فلا يفقه صاحبه حديثاً، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[7].

ومنها: ما يبكمه ويخرس صاحبه ويمنعه عن الذكر فلا يقدر أن يتفوه بما وضع له ويعترف بالحق ويتكلم به فيسكت بذلك عن ذكر مولاه تسبيحاً وتمجيداً وتحميداً وتهليلاً، ويقول مُنْكَراً من القول وزوراً، ويحبّ لغو الحديث. ومنها: ما يوجب ذلك كله باستيلاء الأدواء على القلب فينسلخ عنه روح الإيمان بكله، وتنتزع عنه الحياة الدينية، فلا يسمع ولا يبصر، ولا يذكر ولا يعقل، ولا يشعر ولا يفقه قولاً.

---

(١) سورة الأعراف / الآية ١٧٩/ .

(٢) سورة التكاثر / الآية ٥/ .

(٣) سورة الحج / الآية ٤٦/ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ١٧٩/ .

(٥) سورة الكهف / الآية ١٠١/ .

(٦) سورة هود / الآية ٢٠/ .

(٧) سورة الأعراف / الآية ١٧٩/ .

الشفاء بالفاتحة

إن القرآن الكريم كما فيه وجوه الشفاء يستعان بظاهر آياته وقراءتها واستصحابها على دفع العلل والأسقام، ويعالج به الأمراض البدنية، ويدفع به المكاره والمضار، والبلايا والآفات على ما تقتضيه الحكمة الإلهية، وبالتدبر في معانيه والأخذ بمغزاه يزول عن القلوب عمى الجهل، وحيرة الشك، وتيه الضلال، ويعالج به ما في الصدور من داء الكفر والنفاق والشقاق بآي التوحيد والعدل، ويسوق البشر إلى اقتناء الفضائل واكتساب مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، ودفع ما يشين الخلق، ويسقطه لدى مولاه، ويحطّه من مكارم لطفه، فهو شفاء للناس عامة في دنياهم وآخرتهم، لأبدانهم وأرواحهم، ورحمة للمؤمنين الذين ينتفعون به خاصة، كذلك سورة الفاتحة تجمع جميع ما في القرآن من وجوه الشفاء للأمراض والعلل البدنية والروحية القلبية.

أما العلل العارضة على الأبدان فقد روي عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام والسام الموت»[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «قراءة الحمد شفاء من كل داء إلا السام»[2].

---

(١) تفسير العياشي ج١: ٢٠.

(٢) البحار ج٩٢: ٢٦١.

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام: «من لم تبرئه الحمد لم يبرئه شيء»[1].

فهي عوذة كبيرة ورقية واقية يستعاذ بها من الأدواء، ويستعان بها على دفع العلل والأمراض الهائلة بعدة أنحاء على ما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وإليك بعضها:

روى الراوندي في دعواته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «اعتلَّ الحسين عليه السلام فاحتملته فاطمة صلوات الله عليها فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله ادع الله لابنك أن يشفيه، فقال: يا بُنيَّة إن الله هو الذي وهبه لك، وهو قادر على أن يشفيه، فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تعالى لم ينزل عليك سورة من القرآن إلا فيها فاء، وكل فاء من آفة ما خلا الحمد، فإنه ليس فيها فاء، فادع بقدح من ماء فاقرأ عليه الحمد أربعين مرة، ثم صبَّ عليه فإنَّ الله يشفيه، ففعل ذلك فعوفي بإذن الله»[2].

وروى شيخ الطائفة في أماليه، عن أبي الحسن العسكري عن آبائه، عن الصادق عليهم السلام قال: «من نالته علة فليقرأ في جيبه «جبينه» الحمد سبع مرات فإن ذهبت العلة وإلا فليقرأها سبعين مرة وأنا الضامن له العافية»[3].

وعن العالم عليه السلام: «من نالته علة فليقرأ في جيبه أم الكتاب سبع مرات، فإن سكنت وإلا فليقرأ سبعين مرة فإنها تسكن»[4].

وبالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كسل أو أصابته عين أو صداع بسط يديه فقرأ فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم

(١) تفسير العياشي ج١: ٢٠، البحار ج٩٢: ٢٣٧ و٢٦١، البرهان ج١: ٤٢.
(٢) البحار ج٩٢: ٢٦١.
(٣) أمالي الطوسي ج١: ٢٩٠، البحار ج٩٢: ٢٣١، البرهان ج١: ٤٣.
(٤) مكارم الأخلاق ص٤١٨ البحار ج٩٢: ٢٣٤.

يمسح بها وجهه، فيذهب عنه ما كان يجده»[1].

وبالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام : «من لم تبرئه سورة الحمد، وقل هو الله أحد، لم يبرئه شيء، وكل علة تبرئها هاتان السورتان»[2].

وبالإسناد عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله(جعفر بن محمد الصادق) عليه السلام : «أنه دخل عليه رجل من مواليه وقد وُعك وقال له: مالي أراك متغير اللون؟ فقلت: جعلت فداك وُعكتُ وعكاً شديداً منذ شهر، ثم لم تنقلع الحمى عني، وقد عالجت نفسي بكل ما وصفه إلي المترفعون فلم أنتفع بشيء من ذلك، فقال له الصادق عليه السلام : حل أزرار قميصك وأدخل رأسك في قميصك، وأذّن وأقم، واقرأ سورة الحمد سبع مرّات قال: ففعلت ذلك فكأنما نُشطتُ من عقال»[3].

وعن أحدهم عليهم السلام قال: «ما قرأت الحمد (على وجع) سبعين مرة إلا سكن، وإن شئتم فجربوا ولا تشكوا»[4].

وفي مكارم الأخلاق عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «في الحمد(سبع مرّات) شفاء من كل داء، فإن عُوّذ بها صاحبها مائة مرة وكان الروح قد خرج من الجسد رد الله عليه الروح»[5].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لو قرأت الحمد على ميت سبعين مرة ثم ردت فيه الروح ما كان عجباً»[6].

وفي الكافي بالإسناد في حديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال:

---

(١) طب الأئمة ص٣٩، البحار ج٩٢: ٢٣٤، مكارم الأخلاق ص٤٢٩.
(٢) طب الأئمة ص٣٩، البحار ج٩٢، ٢٣٤.
(٣) طب الأئمة ص٥٣، البحار ج٩٢: ٢٣٥.
(٤) طب الأئمة ص٥٤، البحار ج٩٢: ٢٣٥، البرهان ج٢: ٤١.
(٥) مكارم الأخلاق ص٤١٨، البحار ج٩٢: ٢٥٧.
(٦) مكارم الأخلاق ص٤١٨، البحار ج٩٢: ٢٥٧، البرهان ج٢: ٤١.

«إنما شفاء العين قراءة الحمد، والمعوذتين وآية الكرسي»[1].

وأما الأمراض الروحية فهي على كثرتها من الكفر والنفاق، والنصب، والأمل بغير الله، والرياء، والسمعة، والعجب، والكبر، والحقد، والحسد، والشح، والبخل، والحرص، والجبن، الى غير ذلك مما يوجد في القلوب من العلل والأدواء، فكما أن القرآن الكريم فيه شفاء لما في الصدور كله، وفيه هدى ونور ورحمة للمؤمنين، كذلك سورة الفاتحة فيها ما في القرآن من وجوه الشفاء لما في الصدور، فهي لاشتمالها على الأصول الخمسة على ما بيَّنّاه تزيل درن الكفر وتشفي علَّة النفاق، وتزيح لوث النصب، وتهدي إلى الصراط المستقيم، وترشد إلى المبدأ الأعلى، وتدعو إلى الحق المبين، وتعرب عن المعاد، وتدرس العبودية، وطريقها السوي، وتعرِّف النبي الأعظم ووصيَّه المطهَّر، كما أنها تصلح النفس من ذمائم الصفات، وتعطيها رشدها، وتهذبها عما يفسدها، وتعالج أمراضها، وتمرِّنها بصلاحها، وتزينها بمحاسنها، فقراءتها والتدبر في معانيها والاستشفاء بها تساوق قراءة القرآن الكريم، والاستشفاء به لعامة الأمراض القلبية.

---

(١) الكافي ج٦: ٥٠٣، البحار ج٩٢: ٢٦٠.

الامل بغير الله

أما الأمل بغير الله، فالمتأمل في معاني الفاتحة الكريمة لمَّا عرف بأن النعم كلها من المولى سبحانه وتعالى وهو يستحق الحمد بنعمه التي لا تحصى، وهو رب العالمين، والخلائق كلها رهين تربيته في نشأتها كلها، ومنه بُدئت واليه تعود، والأشياء كلها بجملتها له سماؤها وأرضها، ومابث في كل واحد منهما ساكنه ومتحركه، والعوالم كلها في قبضته يحويها ملكه وسلطانه، وتضمها مشيَّته، وتتصرف عن أمره، وتتقلب في تدبيره، ليس لها من الأمر إلا ما قضى، ولا من الخير إلا ما أعطى واستفاد منها، إن الله تعالى هو ولي تلكم النعم، ورحمان الدارين لعامة الخلائق، ورحيم بالمؤمنين خاصة في الآجل، وهو الذي أسبغ على خلقه نعمه: ظاهرة وباطنة، وبذلك كله ينحصر الحمد له تعالى، وهذا معنى الربوبية الأحدية، والقيمومة الأزلية، والملك الأعظم المنصوص بها في السبع المثاني، فلا يبقى عندئذ له مجال للأمل بغير الله، فإنهم عباد مربوبون عاجزون محتاجون، كما يعبر في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وبها يعالج داء أمله بغير الله، ولا يرى وجهاً لرجاء غيره، ولا يجد في نفسه إقبالاً على أي أحد، كيف يرجو غيره والخير كله بيده، وكيف يؤمل سواه والأمر والخلق له.

الرياء والسمعة

مهما تدبر العبد في الفاتحة الشريفة، واطَّلع بها على أن المولى سبحانه وتعالى هو الذي يربّيه في عوالم سيره إليه، وإليه تنتهي غاية أمره، وهو مالك مبدئه ومنتهاه، وله الأمر والخلق، وهو الرحمان الرحيم، وكل ما في الوجود فهو من مواهبه وعطاياه، ونعمائه وآلائه، واعترف بكلمة الحصر بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن الكل عباده، وهو الإله، والمعبود والمستعان، يعالج بذلك نفسه من مرض الرياء والسمعة، لتجتث من قلبه أصولها، ويصلح به صدره، ويخلص عمله، ويداوي مرضه، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، إذ حدّ الرياء والسمعة هو إرادة العباد بطاعة الله، وطلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير، وإسماعها إياهم لغاية من مطامع الدنيا، وهذا المرض الموبق يعتري الإنسان من سوء ظنه بالمولى، وهو إشراك ينافي ما في الفاتحة من المعاني الفخمة، والمعارف الإلهية، فبعد معرفة أن الله تعالى هو مصدر جميع النعم، وهو المنعم على الاطلاق فلا تبقى هناك غاية تصلح ابتغاءها للمرائي وأخيه، ولا يوجد هناك غرض وبغية لم تكن لله فيه يد، ولم يكن له قدر وقضاء.

العجب

لمّا استفاد قارىء الفاتحة الشريفة منها أنه عبد من عباد الله تعالى وكل ما بيده لمولاه، والخلق كلهم مربوبون فقراء إلى الله بجميع معاني الكلمة، وهو ربهم وراحمهم ومالكهم يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وعلم أن الطاعات والعبادات من نعم الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منه وهو المستعان فيها، وبذلك هو أولى بحسنات عباده منهم، كما ورد في الحديث القدسي في الكافي[1] فلا يعتريه العُجب، ولا تروقه نفسه، ولا يعجبه شيء مما يجد من بدائع ذاته، ومحاسن نفسه، وبسط ماله، ومكارم أخلاقه وفعاله، إذ حدّ العجب هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم، وعلته الجهل المحض بما ينبئ عنه المولى سبحانه وتعالى في هذه السورة من المعارف الإلهية، ولكونه ناشئاً عن الجهل والغفلة عمّا تقرُّ به السبع المثاني، وقد ورد في الحديث الشريف:

«المعجب لا عقل له»[2].

---

(١) راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة رقم-١٠.

(٢) غرر الحكم ص٢٣، ٤٠.

«إعجاب المرء بنفسه حمق»[1].

«العُجب رأس الجهل»[2].

«العُجب رأس الحماقة»[3].

«العُجب عنوان الحماقة»[4].

«العُجب يفسد العقل»[5].

«إعجاب الرجل بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله»[6].

«العُجب حمق»[7].

فداء العُجب إنما يعالج بالتوجه إلى المعاني المبثوثة في الفاتحة من معرفة الأصول، وذكر المنعم وإضافة النعم إليه، والاعتراف بالعبودية والفقر إلى الله بالاستعانة به، وانتهاء الجمال والحُسن من كل جميل وحسن إليه تعالى فحسب، والقلب لمَّا أُشرب بهذه المعارف يرى العُجب سفهاً ونقصاً وحمقاً، ولمَّا اجتُثَّتْ أصول العُجب فلا يبقى مجال للتكبر والترفع، إذ هو فرع العُجب، والعُجب بذره بأقسامه الثلاثة أعني التكبر على الله، وعلى الرسل، وعلى العباد، والعبد مهما بلغ من العز والعظمة لا يناسبه التكبر والترفع على أي أحد بعد الإقرار بالعبودية والعجز، ومعرفة أن الخلق كلهم مربوب مملوك ذليل في يد مولاه، ولا يتكبر إلا إذا جهل وغفل عما هو عليه، ومن هنا قال أمير

---

(١) غرر الحكم ص٢٣، ٤٠.
(٢) غرر الحكم ص٣١.
(٣) غرر الحكم ص١٥.
(٤) غرر الحكم ص١٦.
(٥) غرر الحكم ص١٩.
(٦) غرر الحكم ص٥١.
(٧) غرر الحكم ص١٣.

المؤمنين عليه السلام: «التكبر رأس الجهل»[1].

ولعلَّ لإزاحة هذا الداء العضال من الصدر يُستحبّ للمصلي تكرار قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

(١) غرر الحكم ص١٠٢. ولفظه: «التواضع رأس العقل والتكبر رأس الجهل».

الحقد والحسد

يعالج بسورة الشفاء داء الحسد الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام : «إنه شر الأمراض»[1].

وقال: «الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم»[2].

وقال: «الحسد داء عياء لا يزول إلا بهلك الحاسد أو بموت المحسود»[3].

وذلك أن حدَّ الحسد: كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه وحب الشر وبقاؤه على من ابتلي به.

فالحاسد كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : «يفرح بالشر ويغتم بالسرور»[4]، ولا يشفيه إلَّا زوال النعمة[5]، ويرى «أن زوال النعمة عمن يحسده نعمة عليه»[6] كما نص به أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من آثار الحقد، والحقد من ثمرات شجرة الغضب، ولذا قال أبو الأئمة عليهم السلام:

---

(١) غرر الحكم ص١٦.

(٢) غرر الحكم ص٥٠.

(٣) غرر الحكم ص٤٧.

(٤) غرر الحكم ص٣٤.

(٥) غرر الحكم ص٣٤.

(٦) غرر الحكم ص٤٣.

«الحسود غضبان على القدر»[1].

فالرجل إذا أقرَّ بالعبودية وعرف ان النعم بأسرها من المولى سبحانه وهو رب العالمين، وقد جعل لكل واحد من نعمه سهماً، وقسَّم رحمته بين عباده، وقسَّم بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، وعلم أن المنعم هو المولى سبحانه، وكلَّ ما في الكون من نعمة أو بلاء فبقضائه، ومشيئته وإرادته، وكل ذلك بربوبيته الأحديّة، ومالكيته الصمدية، ورحمته العامة، المستفادة من سورة الحمد، فعليه أن يخضع ويرضى بما قسَّم مولاه بين عباده، ويسَّره تقديره، ولا يعادي نعمه، ولا يرتضي زوال نعمة من أنعم عليه، ولا يغرس في قلبه حبّة الحسد، إذ الحاسد كما ورد في الحديث القدسي«عدو لنعمة الله، متسخط بقضائه، غير راض بقسمته التي قسم بين عباده»[2]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كاد الحسد أن يغلب القدر»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لنعم الله أعداء، قيل: ما أعداء نعم الله يا رسول الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»[4].

فالمؤمن بالله وبربوبيته، وملكه، وقيُّوميَّته، ورحمانيته، وإضافة النعم إليه لا يحسد ولا يكره نعمة ارتضاها الله لعبد من عباده، ومن هنا

---

(١) غرر الحكم ص٢٨.

(٢) روى الكليني في الكافي ج٢: ٣٠٧، عن يونس، عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزوجل لموسى بن عمران عليه السلام، يا ابن عمران لاتحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني».

(٣) الكافي ج٢: ٣٠٧، أمالي الصدوق ص١٧٧.

(٤) البحار ج٧٣: ٢٥٦، جامع الأخبار ص١٨٦.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الإيمان برء من الحسد»[1].

وقال أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام: «إن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[2].

فعلى الحاسد التداوي بالمعارف المبثوثة في الفاتحة الشريفة.

ومما ذكر يُعلم طريق الاستشفاء بالفاتحة من مرض الحقد الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام :

«إنه داء دويّ ومرض موبي»[3].

إذ الحسد من ثمرات الحقد كما أسلفناه، وهو إضمار العداء في القلب، وتربُّص الفرصة للانتقام، وهو من ثمرات الغضب، وإنما يعالج بالوقوف على معاني الفاتحة، إذ العبد بعد اعترافه بالعبودية واستعانته من المولى سبحانه وتعالى، وتخاطبه معه بخطابه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وعلمه بان وراءه يوم يدان فيه، وله ملك يأخذه، كيف يتَّصف بالغضب وهو من صفات الكلاب الضارية، والسباع العادية، فالاعتراف بالعبودية والإقرار بالعجز، والحاجة إلى عون المولى، وذكر الموت والمعاد، والتوجه إلى يوم الجزاء، ومعرفة مالك ذلك اليوم، يسكّن غضب الرجل ويصلحه، ومن هنا قيل: إنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: إرْحَمِ المسكين، واخشَ الموت، واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

فصحيفة الفاتحة الشريفة التي مَنَّ بها المولى سبحانه على النبي الأعظم هي أرقى معنى، وأغزر مغزى عن صحايف حكماء بني إسرائيل وإنها تحسم مواد الغضب، والأدواء القلبية المترتبة عليه، ولعل لإدراك

(١) الغرر والدرر ص١٧.
(٢) الكافي ج٢، ٣٠٦.
(٣) غرر الحكم: ٣٥.

هذا الأثر العظيم يستحب تكرار قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وقد ورد أن الإمام زين العابدين سلام الله عليه كان يكرره في صلاته حتى كاد أن يموت[1].

(١) روى العياشي في تفسيره ج١: ٢٢، والمجلسي في البحار ج٩٢: ٢٣٩، عن الزهري قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي، وكان إذا قرأ: مالك يوم الدين يكررها ويكاد أن يموت».

الشح والبخل

إن المعاني المودعة في سورة الفاتحة تحسم أُصول هذا المرض، إذ حدُّ البخل منع واجب الشرع أو واجب المروءة والعادة، حباً للمال واستكثاره وإبقائه، وذلك إذا لم يقارن بالحرص، فإن قارنه فهو الشح وهذا يتنافى جداً مع معرفة العبودية وحقيقتها، ويعارض العلم بأن العبد لا يملك، وأنه مربوب ليس عليه التدبير، وأنه سينقطع عمله ووراءه ملك يؤاخذه، ويحاسبه يوم الدين، ويجازيه بما يستحقه، فالعبد بعد التفاته إلى حقيقة عبوديته، وعرفان أن كلَّ ما في الوجود من النعم إنما هي من آثار رحمة ربه، وهو وما بيده لمولاه يهون عليه الإنفاق، ولا يشق عليه بسط اليد بالإحسان، ولا يعز عليه أداء واجب الشرع أو المروءة والعادة، وإقامة الفروض الإنسانية، والقيام بحدود البشرية فعارف معنى الفاتحة والمتدبر لها لايعقل أن يتصف بهذا المرض الناشئ عن الجهل بما تضمنته الفاتحة، فهما وما يليهما من الحرص كلها أدواء ناشئة عن سوء الظن بالله كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الجبن، والحرص، والبخل غرائز سوء يجمعها سوء الظن بالله»[1] فالإذعان بما في الفاتحة

---

(١) غرر الحكم ص٤٣. وفي علل الشرايع ج٢: ٢٤٦ والبحار ج٧٣: ١٦٢ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن.

الشريفة من المعاني الفخمة، يصلح القلب عنها ويبرئه منها ويشفيه من درنها.

الجبن

إن الإذعان والاعتناق بما تعرب عنه الفاتحة الشريفة من صفات المولى سبحانه، واليقين بأن الله تعالى هو رب العالمين والخلق كلهم في قبضته، وهم عباد مربوبون لا يقدرون لأنفسهم دفعاً، ولا يملكون لها نفعاً، ولاحياة، ولاموتاً، ولانشوراً، والله هو الذي أنشأهم ويربيهم ويسبغ عليهم النعم، ويدفع عنهم البلايا والنقم، وبيده الخير، وإليه مصيرهم: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1] يمنع معتنقيه عن الجبن، والخوف من أي أحد، ويقطعه عن الكل بحيث لا يرى سلطة ومقدرة لأحد عليه، وهذا حد اليقين بالله كما رواه مثنى بن الوليد الحنّاط في كتابه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «ما من شيء إلا وله حدّ قال: فقلت: وما حدّ التوكل؟ فقال: اليقين قلت: فما حد اليقين؟ قال أن لا يخاف شيئاً»[2].

---

(١) سورة النجم / الآية ٣١/ .

(٢) ولفظ الحديث في الكافي ج٢: ٥٧: «عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس شيء إلا وله حد، قال: قلت: جُعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين. قلت فما حد اليقين؟ قال: ألّا تخاف مع الله شيئاً».

الأمل

بالتأمل في أم الكتاب ينجو المؤمن عن معترك الآمال، ويخلِّص نفسه من مصيدة الأمل، وينقذه من مخالبه، وهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خادع، غارّ، ضارّ، والمغتر به مخدوع»[1].

وقال: «الآمال غرور الحمقى»[2].

وقال: «الأمل ينسي الأجل»[3]. و«الأمل حجاب الأجل»[4].

فهذه المساءة التي هي أُسّ الشرور، ورأس العيوب، ومادة الأدواء الروحية، إنما تنشأ عن الغرور، والجهل، والنسيان، يعالجها ذكر العبودية، والتوجه إلى المولى سبحانه وتعالى بالطاعة، ويصلح القلب منها بالتأمل في أن الخلق عبيد يربيهم رب العالمين، ولهم في الدنيا آجال مقدَّرة تحصد بها الآمال، وينقطع بها بغية كل طالب، وتنفصل عرى كل غاية متوخاة، ووراءهم يوم مشهود، يدان به الخلايق، يريهم ربهم أعمالهم حسرات عليهم، والخلق كلهم في قبضته في العاجل

---

(١) غرر الحكم ص١٨، ولفظه: «المغتر بالآمال مخدوع».

(٢) غرر الحكم ص١٨.

(٣) غرر الحكم ص٢١.

(٤) غرر الحكم ص٢٣.

والآجل فبذكر المولى سبحانه، والإيمان بربوبيته وتصديق العبودية، والإذعان بيوم الدين، والاعتقاد بالملوكية المطلقة، والقيومية الأبدية، المستفاد كلها من الفاتحة الشريفة، وانتظار يوم الحساب تملأ الصدور هول المطلع وتقشعر به القلوب، وتكون وجلة مشغولة عن كل أمل، كما أن طول الأمل وتعلق القلب به يكشف عن الجهل بالمعارف المذكورة، والغفلة عن المعاني المبثوثة في الفاتحة الشريفة من الاعتقادات المعزى إليها، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «ولولا الأمل علم الإنسان حسب ما هو فيه، ولو علم حسب ما هو فيه مات«خفاتاً» من الهول والوجل»[1].

وبذلك كله يعلم، وجه تسمية هذه السورة الشريفة بالشفاء، والكافية والأساس، كما ورد عن ابن عباس: «إن لكل شيء أساساً (إلى أن قال) وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾»[2] فإنها كما سمعت شفاء من كل داء جسمي وروحي، ولأنها تكفي عما سواها بجامعيتها كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمّ القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضاً عنها[3] وهي اس المعارف الالهية، والاعتقادات الدينية، وأصول الاسلام والايمان يبتني غيرها عليها ولا تبتني هي على غيرها.

فمجمل القول: إن الفاتحة الشريفة بجامعيتها من نواح شتى، واشتمالها على ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من المعاني الفخمة، والمعالم الدينية، منَّ المولى سبحانه على النبي الأعظم بها، كما مَنَّ على أمته بقراءتها في الصلوات الخمس، لاستخلاص المصلي نفسه عن درن الضلال، والاهتداء بها إلى معالي الايمان، وتهذيبها وتقديسها

(١) سفينة البحار ج١: ٣٠.
(٢) مجمع البيان ج١: ١٧.
(٣) مجمع البيان ج١: ١٧.

وتطهيرها وتكميلها، والتخلق بمكارم الأخلاق، والرقي إلى أوج الكمال، فقراءتها فيها كل يوم خمس مرات بكرة وعشياً تساوي قراءة القرآن الكريم والتوجه إلى حكمه ومعانيه وجوامعه وأصول معارفه مرة بعد أخرى.

روى شيخنا الصدوق في الفقيه عن أبي الحسن الرضا أنه قال: «أمر الناس بالقراءة، في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجوراً مضيعاً، وليكن محفوظاً مدروساً، فلا يضمحل ولا يجهل، وإنما بدأ بالحمد دون سائر السور، لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد(إلى أن قال) فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا مالا يجمعه شيء من الأشياء» الحديث[1].

فالمصلِّي إن كان قرأها ملفتاً نظره إليها، متوجهاً إلى ما فيها من المعاني، ملتفتاً إلى ما بيَّنه المولى فيها مما أسلفناه من الجوامع والحكم يصلح نفسه عن الأدواء الروحية المهلكة والخلايق القتّالة والأمراض المردية، والنفسيات الموبقة، وكل صفة مسقطة، لتكون صلاته بفاتحة الكتاب معراجاً ووفوداً إلى المولى سبحانه وتعالى ويحصِّل بها شفاء ودواء من كل داء ورشداً إلى كل معروف، وتنزها من كل فاحشة، وبرءاً من كل منكر، وبعداً من كل مهلكة، وصلة وقرباً إلى المنجيات كلها، ويجدها قائداً إلى الرضوان، وذائداً عن العصيان، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2].

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة معراج المؤمن».

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١: ٢٠٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

بل المراد من الآية الشريفة هي الفاتحة الكريمة بخصوصها، إذ سماها المولى سبحانه بالصلاة، كما ورد في الحديث النبوي على محدثه وآله الصلاة في حديث أسلفناه قال: قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» ثم يذكر تنصيف سورة الحمد كما مر[1].

(١) راجع ص٣٦-٣٨.

الفصل الثاني

تحليل السورة

لاجبر ولا تفويض.

الأمر بين الأمرين.

صفات الذات وصفات الفعل.

العلم الإجمالي والتفصيلي.

المشيَّة الأزلية والمحدّثة.

المشيَّة والإرادة المحدثة.

إرادة تكوين وتشريع.

إرادة حتم وإرادة اختيار.

تحليل السورة

عندما لم نجد في صريح الكتاب الكريم في هذه السورة الشريفة وغيرها أسماءً وصفات لله تعالى، يهمنا بيان الصفات وأقسامها ووجه اتصافه بها، فنقول: إن أُناساً أرادوا تنزيه المولى سبحانه عن مشابهة المخلوقين ولم يتصوروا هناك صورة صحيحة غير ما يعقلونه في الممكنات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات عنه رأساً وهم المعتزلة.

وآخرون أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا، وأسمائه الحسنى، ولم يهتدوا إلى التوصيف الصحيح غير مايعقلونه في الممكن فاثبتوها له صفاتٍ زائدة على ذاته فوقعوا في التشبيه وهم الأشاعرة.

فأكثر الناس بين معطِّل ومشبِّه.

وهناك مذهب ثالث لا هذا ولا ذاك بل أمر بين الأمرين ويحق أن يقال به: وهو الإثبات بلا تشبيه بمعنى أن الأسماء والصفات مع كثرتها واختلاف مفاهيمها وتفاصيلها يوصف بها المولى سبحانه وتعالى غير زائدة على ذاته، ولا على جهة جزئية له واقتران ليلزم التركيب والتأليف، بل مع اعتبار أحديَّة المعنى في الذات والصفات، والكتاب الكريم ينظر إلى جهتي التعطيل والتشبيه فيصف المولى سبحانه وتعالى تارةً بمثل

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] مشيراً إلى نفي التعطيل وينفي عنه الصفة تارة أخرى بمثل قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] ايعازاً إلى بطلان التشبيه.

وإلى المذاهب الثلاثة المذكورة وقع النص في غير واحد من الأحاديث منها:

١. في حديث عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ولابد من إثبات صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوقين الظاهر في التركيب والتأليف»[3].

٢. عن الامام أبي جعفر عليه السلام أنَّه سئل: «أيجوز أن يقال إن الله عزّ وجلّ شيء؟ قال: نعم، يُخرجه عن الحدَّين: حدِّ التعطيل وحدِّ التشبيه»[4]. رواه شيخنا الصدوق في التوحيد[5].

٣. عن أبي عبد الله عليه السلام بالإسناد: «اعلمْ رحمك الله ان المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ فانْفِ عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت، الموجود، تعالى الله عما يصفه الواصفون، ولا تعد القرآن فتضلَّ بعد البيان»[6].

٤. بالإسناد عن اليقطيني قال: «قال لي أبو الحسن عليه السلام : ما تقول إذا

---

(١) سورة الشورى / الآية ١١/ .

(٢) سورة الصافات / الآية ١٨٠/ .

(٣) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١١ .

(٤) الكافي ج١ : ٨٢، ٨٥.

(٥) التوحيد ص١٠٤، ١٠٧.

(٦) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٢ .

قيل لك: أخبرني عن الله عَزَّوَجَلَّ أشيء هو أم لا؟ قال: فقلت له: قد أثبت الله عَزَّوَجَلَّ نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾[1] فأقول: إنه شيء لا كالأشياء، إذ في نفي الشيئيّة عنه إبطاله ونفيه، قال لي: صدقت وأصبت، ثم قال الرضاعَلَيْهِ السَّلَامُ : للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز، لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء، والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه»[2].

وأما غير هذه من أحاديث الباب المختلفة بظاهرها بين ما يثبت له الصفة، وبين ما ينفيها عنه، فتدِّرسنا أيضاً بطلان المذهبين، ويرشدنا إلى المذهب الحق الذي هو في جانب من الجهتين، فالمثبت منها ناظر إلى نفي التعطيل، والنافي منها وارد في بطلان التشبيه، فمنها:

١. في خطبة لأمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ رواها الشريف الرضي في نهج البلاغة: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنَّاه، ومن ثنَّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده» الحديث[3].

فتقرير الدليل في الخطبة الشريفة إنما يثبت كونهعَلَيْهِ السَّلَامُ في مقام رد المشبهة، فالمراد به نفي الصفة الموجودة بوجود غير وجود الذات

(١) سورة الانعام / الآية ١٩/ .

(٢) التوحيد ص١٠٧.

(٣) راجع الفصل الثالث التعليقة-١٣.

كالبياض في الأبيض، لا كالناطق للإنسان، ولمّا كان أكثر ما يطلق عليه اسم الصفة هو الذي يكون أمراً عارضاً، ولا يقال للمعاني الذاتية للشيء إنها صفات له كما هو المعهود عند الأذهان، نفى الإمامعليه السلام عنه تعالى الصفة، ألا ترى ان قولهعليه السلام : «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه»[1] يعرب عن أنهعليه السلام أراد بالصفة ما قارن الذات، على ما في الأذهان الموجب للاثنينية والتركيب والتجزّي والتعدد، كما يلوّح إليه قولهعليه السلام في ذيل الحديث في توصيف الملائكة وهو قولهعليه السلام: «لا يتوهّمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدُّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر»[2] فهوعليه السلام أثبت لله تعالى أولاً: الصفة غير المحدودة بقوله: «الذي ليس لصفته حد محدود»[3] ونفى بذلك التعطيل، ثم شرع ينفي عنه تعالى الصفة على نحو ما يعقله المخلوقون من الاتصاف على جهة الاقتران والحلول، ففيه نفي من جهتي التعطيل والتشبيه، وإثبات من جهة ثالثة.

وإن كنت تعجب: فعجب قول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١ ص٢٤: «فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب إليه المعتزلة وهو نفي المعاني القديمة التي تثبتها الأشعرية وغيرهم» انتهى.

ليت شعري اين ذلك التصريح المدّعى في الحديث لإثبات ما ذهب إليه المعتزلة من النفي والتعطيل، هل نفي التشبيه يلازم إثبات أحد طرفي نقيضه؟ فضلا عن كونه صريحاً فيه، وهل ما عداه ينحصر بالتعطيل، أو إثبات الصفة غير المحدودة له تعالى لا يناقض هذه الصراحة المخفية، أو عدم إجراء الملائكة عليه تعالى صفات المصنوعين

(١) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.
(٢) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.
(٣) راجع ألفاظ الخطبة في الفصل الثالث التعليقة-١٣.

لا يعرب عما وراء النفي والتعطيل بشيء.

٢. في حديث طويل مسند عن الرضاعليه السلام سأله رجل زنديق أسلم بيدهعليه السلام عن مسائل قال الرجل: «فأخبرني عن قولكم إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم، أيكون السميع إلا بالأذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة، فقال أبو الحسنعليه السلام : إن اللطيف منا على حدّ اتخاذ الصنعة، أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئاً فيلطف في اتخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً؟ فكيف لا يقال للخالق الجليل (لطيف) إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركّب في الحيوان منه أرواحها، وخلق كل جنس متبائناً من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضاً؟ فكلٌّ له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك: إن خالقنا لطيف، لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى، من الذرة إلى أكبر منها، في بَرِّها وبحرها، ولا تشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بِأُذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصر لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجنَّة، ويرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها، وفراخها ونسلها، فقلنا عند ذلك: إنه بصير لا كبصر خلقه». رواه شيخنا الصدوق في العيون والتوحيد[1].

---

(١) التوحيد ص٢٥٠، وذكره موجزاً الشيخ الكليني في أصول الكافي ج١: ٧٨، ورواه الصدوق في عيون الاخبار ج١: ١٣١، والطبرسي في الاحتجاج ج٢: ١٧١-١٧٣، والمجلسي في البحار ج٣: ٣٦، راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٤.

٣. عن العالم عليه السلام بالإسناد، وقد سئل عن شيء من الصفات فقال«لا تتجاوز مما في القرآن»[1].

قلنا: إن القرآن يثبت له الصفة وينفي عنه التعطيل كما ينفي عنه التشبيه.

٤. البرقي في المحاسن بالاسناد عن الفضل بن يحيى قال: «سأل أبي أبا الحسن موسى عليه السلام

عن شيء من الصفة فقال: لا تجاوز عمّا في القرآن»[2].

أقول: عرفت أنَّ القرآن ينفي التعطيل والتشبيه.

٥. في رجال الكشي في كتاب للإمام موسى بن جعفر عليه السلام أجاب به من سأله عن القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار فأجابه عليه السلام : «اعلم رحمك الله أن الله أجلُّ وأعلى وأعظم من أن يُبلغ كنهُ صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفُّوا عما سوى ذلك»[3].

٦. عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام وقد سئل عن الأول والآخر، فقال: «الأول لا عن أول قبله، ولا عن بدء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفة المخلوقين، ولكن قديم، أوّل آخرلم يزل ولا يزول، بلا بدء ولا نهاية، لا يقع عليه الحدوث، ولا يحول من حال إلى حال، خالق كل شيء»[4].

٧. في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال بعد نفي التشبيه والنهي عن وصفه بصفة المخلوقين: «والله خالق كل شيء، لا يقاس بالقياس ولا

(١) راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٥.

(٢) المحاسن ج١: ٢٣٩، البحار ج٣: ٢٦٥.

(٣) الكافي ج١: ١٠٢، البحار ج٣: ٢٦٦.

(٤) الكافي ج١: ١١٦.

يُشبَّه بالناس، لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده بعيد في قربه ذلك الله ربُّنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه براء»[1].

٨. عن الإمام موسى بن جعفرعَليَتَلِارْ وهو يكلم راهباً من النصارى «إن الله تبارك وتعالى أجلُّ وأعظم من أن يُحَدَّ بيد أو رجل أو حركة أو سكون، أو يوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الاوهام أو تحيط بصفته العقول» الحديث[2].

٩. عن الإمام زين العابدينعَليَتَلِارْ : «لا يوصف الله بمحكم وحيه عظم ربنا عن الصفة، وكيف يوصف مَن لا يُحَدُّ، وهو يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير»[3].

قولهعَليَتَلِارْ : «لا يوصف الله بمحكم وحيه» يعني أن القرآن الكريم ينفي عنه التشبيه.

١٠. عن الرضاعَليَتَلِارْ في جواب رجل قال له: «يا ابن رسول الله صف لنا ربك فقالعَليَتَلِارْ : إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، أُعرِّفه بما عرَّف به نفسه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة، لا يُدرَك بالحواس، ولا يقاس بالناس» الحديث[4].

---

(١) راجع لفظ الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٦.

(٢) التوحيد ص٧٥، البحار ج٣: ٣٠٠.

(٣) تفسير العياشي ج١: ٣٧٣، البحار ج٣: ٣٠٨.

(٤) التوحيد ص٤٧، البحار ج٣: ٢٩٧.

١١. في كتاب لأبي الحسن عليه السلام : «سبحان من لا يُحدّ، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير»[١].

١٢. روى الخزاز في كفاية الأثر، عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قدم يهودي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد صف لي ربك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدَّه، والأبصار عن الإحاطة به، جَلَّ عما يصفه الواصفون، ناءٍ في قربه، وقريب في نأيه، كيَّف الكيفية، فلا يقال له: كيف، وأيَّنَ الأَيْنَ فلا يقال له أين هو، منقطع الكيفوفية والأينونية، فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، قال: صدقت يا محمد، أخبرني عن قولك: إنه واحد لاشبيه له، أليس الله واحداً والإنسان واحد؟ فوحدانيَّته أشبهت وحدانيَّة الإنسان، فقال عليه السلام : الله واحد وأحدي المعنى، والإنسان واحد ثنويّ المعنى، جسم وعرض، وبدن وروح، فإنَّما التشبيه في المعاني لاغير، قال: صدقت يامحمد»[٢].

١٣. في حديث عن أبي الحسن الرضا عليه السلام رداً على المجسمة:

---

(١) الكافي ج١: ١٠٢، التوحيد ص١٠١، البحار ج٣: ٣٠٣.

(٢) رواه الشيخ المجلسي في البحار ج٣: ٣٠٣ مسنداً، باختلاف يسير في صدره، وهو بهذا اللفظ: «أبو الفضل الشيباني، عن أحمد بن مطوق بن سوار، عن المغيرة بن محمد ابن المهلب، عن عبد الغفار بن كثير، عن إبراهيم بن حميد، عن أبي هاشم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال لـه: نعثل، فقال: يا محمد إني سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك، قال: سل يا أبا عمارة، فقال يا محمد صف لي ربك...» الحديث.

«سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبِّهوك بغيرك، اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبِّهك بخلقك، أنت أهل لكل خير»[1].

وبيان إثبات الصفات له تعالى بلا تشبيه: أنَّ صانع الأشياء لاحدَّ له ولا جزء ولا برهان عليه، إذ الحدود والبراهين والاجزاء مأخوذة من ذاتيات الشيء أو صفاته الكلية، وكل اسم ووصف محدود واقع تحت جنس من عوالي الأجناس، والصفات الإضافية واقعة تحت مقولة المضاف والصفات الحقيقية كالعلم والقدرة مفهوماتها واقعة تحت مقولة الكيف، وكلُّ ما له جنس فله فصل، وكلُّ ماله جنس وفصل فله حدّ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإطلاق الاسماء والصفات عليه تعالى، واتصافه بما وصف به نفسه لا يعقل أن يكون على وجه المقارنة والزيادة عليه، ولاباعتبار ترتُّب الغايات بلا حصول المبادئ كما قيل، إذ الغايات لا تنفك عن المبادئ، وحيث لا مبدأ فلا أثر يترتب عليه، بل إنما هي كلها موجودة بوجود واحد فيه تعالى على وجه أعلى وأشرف وأبسط، كما يناسب مقامه الأقدس، إذ صفات الجسم كوجوده جسمانية، وصفات النفس نفسانية، وصفات العقل عقلانية، وصفات الروح روحانية، وصفات الله تعالى إلهية، فمع كثرة المفاهيم المتصورة في الصفات ليس هناك إلا وجود واحد ومعنى واحد منزَّه عن الكثرة والعدد، مُتَّحد مع الذات كما سمعت في الحديث النبوي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله واحد واحديُّ المعنى والإنسان واحد ثنويُّ المعنى جسم وعرض وبدن وروح، فإنما التشبيه في المعاني لاغير».

(١) الكافي ج١: ١٠٠، التوحيد ص١١٣.

ويعرب عن هذه الوحدة الإلهية مع كثرة المفاهيم الصفاتية قول الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لا يقدّر قدرته، ولا يقدر العباد على صفته، ولا يبلغون كنه علمه، ولا مبلغ عظمته، وليس شيء غيره، وهو نور ليس فيه ظلمة، وصدق ليس فيه كذب، وعدل ليس فيه جور، وحق ليس فيه باطل، كذلك لم يزل ولا يزال أبد الآبدين» الحديث[1].

وفي حديث آخر له عليه السلام : «هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه» الحديث[2].

(١) التوحيد ص١٢٨.

(٢) التوحيد ص١٤٦.

بيان آخر

لا نرتاب أن مفهوم كل صفة من الصفات غير مفهوم صفة أخرى كما أن مفهوم الذات مغاير مع مفاهيم الصفات، وإنما اتصاف الأشياء بها على أنحاء من حلول وعروض، وورود واقتران يوجب التركيب والتأليف والتعدد والتكثر، ويستدعي التجدد والتحول والانقلاب من حال إلى آخر، وهذا كلُّه فيما هو الحادث والمتجدد.

وأما المبدأ الأعلى فإن الصفات وإن كثرت في المفهوم وغايرت بعضها بعضاً، وتباينت مع مفهوم الذات، إلا أنها بحسب الوجود ليست أمراً وراء الذات الأحديَّة تعالى مجده، وهي بعينها صفاته الذاتية بمعنى أن ذاته بذاته وجود وعلم وقدرة، وحياة وسمع وبصر، وهي أيضاً موجود عالم قادر، حي، سميع، بصير، يترتب عليها آثار جميع الكمالات، ويكون هو من حيث ذاته مبدأً لها من غير افتقار إلى معان أُخر قائمة به تسمى بالصفات، وتكون مصدراً للآثار لمنافاته الوحدة والغناء الذاتيين فذاته صفاته، وصفاته ذاته، ولا تغاير في الوجود بين صفاته، ولا يستدعي هيئة فاعل ولا مادته في مثل قولنا: عالم وقادر أن يكون هناك ذات قائم بالعلم والقدرة، على وجه التغاير بين الصفة وذاتها، بل معنى العالم ما ثبت له العلم، والقادر ما ثبتت له القدرة، سواء كان بثبوت عينه

أو بثبوت غيره، ألا ترى أنه لو فرضنا بياضاً قائماً بنفسه لقلنا إنه أبيض، ولا يستدعي ثبوتاً غيريّاً، فكذا الحال في جميع الصفات.

فالوحدانية الصرفة الخالصة ذاتاً وصفاتٍ وكونها هي هو، لا ينافي تغاير الصفات في المفهوم، ولا تغاير الذات مع الصفات، فهو تعالى بوحدانيته وصمدانيته علم باعتبار وعالم باعتبار، وهكذا في ساير الصفات وهذه الاعتبارات العقلية لاتوجب تكثراً في ذاته بوجه من الوجوه، ولا يخلُّ بوحدانيته المحضة أصلاً، بل تزيده وحدةً، لأنه لو فرض أنه لم يكن في ذاته شيء منها لما كان واحداً حقيقياً، مثلاً لو فرض أنه علم وليس بقدرة، أو أنه علم وليس بعالم لكان فيه جهة غير جهة الوجوب والوجود وهي جهة الإمكان، ولا يتوهم أن ذات المولى سبحانه مجهول الكنه لنا، ومفاهيم الصفات معلومة، فكيف تكون هي هو، إذ المعلوم من المفاهيم هو الكُلِّيُّ المشترك المقول بالتشكيك على أفراده الموجودة بوجودات مختلفة، كنفس مفهوم الذات لا أفرادها الخاصة له، فكما أن ذاته مجهول الكنه لنا، كذلك صفاته التي هي أفراد خاصة من المفاهيم المعلومة مجهولة لنا، محتجبة عن عقولنا، كما أنها محجوبة عن أبصارنا لشدة نُوريَّته وفرط ظهوره.

فبالجملة إن كثرة المعاني في الصفات مفهوماً، والاختلاف بينها إنما يتأتى من المناطات لها، بمعنى أنه إذا كان مناط كل صفة غير مناط صفة أخرى، وكان مثلاً مناط السمع غير مناط الإبصار، ومناط العلم غير مناطهما، ومناط كل منها غير مناط القدرة، وبالعكس، وكذلك في سائر الصفات، فذلك يستدعي الاختلاف، والتأليف، والتركيب والتعدد كما في المخلوقين.

وأما إذا لم يكن هناك إلا وحدة المعاني لوحدة المناط لها، وصح أن

يكون مناط علمه هو مناط سمعه، ومناط سمعه هو مناط إبصاره، ومناط إبصاره هو مناط قدرته، وبالعكس، ولم يكن المناط في كل واحد من الصفات إلا هو بكُلِّه وذاته، فلا اختلاف، ولا تغاير بينها، ولا تعدد، ولا تكثر، ولا تركيب، ولا تأليف.

والاختلاف الظاهر في التعبير عند البيان عنها، إنما هو للتفهيم والتفهم، إذ لا يتيسر إلا به، كما أن القول بأنه يعلم بذاته أو بكلِّه وكذلك في سائر صفاته تستدعيه ضرورة التعبير.

وإلى هذا الإجمال يرشدنا ما في حديثي الكليني في الكافي: بإسناده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في صفة القديم «إنه واحد صمد أحدي المعنى، ليس بمعان كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا، وشبَّهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال تعالى الله، إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك»(1).

وبإسناده عن هشام بن الحكم، قال في حديث الزنديق الذي يسأل أبا عبد الله عليه السلام : أنه قال له: «أتقول: إنه سميع بصير؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : هو سميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنه سميع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر، ولكني أردت عبارة عن نفسي، إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: يسمع بكلِّه، لا أنَّ كلَّه له بعض، لأن الكل لنا (له) بعض، ولكن أردتُ إفهامك والتعبير عن نفسي، وليس

---

(1) الكافي ج١: ١٠٨.

مرجعي في ذلك كلّه، إلا أنه السميع البصير، العالم الخبير بلا اختلاف الذات، ولا اختلاف معنى»[1].

وليعلم: أن الأشياء قبل تكوُّنها وتشخُّصها بالوجود الخارجي تقع متعلق الصفات الذاتية من العلم والسمع والبصر كما تتعلق بها بعد كونها، ووجوداتها الخارجية، مع كون الصفات حضورية لا حصولية، وذلك أن العلم عبارة عن مناط الانكشاف أعني ظهور الشيء على العالم ظهوراً هو وجوده العلمي وحصوله الانكشافي، فالأشياء بوجوداتها العلمية تكون بأسرها منكشفة عليه بمناطيَّة ذاته لهذا الانكشاف، وهي برمَّتها محاطة به قبل كونها، ووجودها عيناً، كما هي منكشفة حاصلة في علمه بعد كونها بلا اختلاف وتفاوت في العلم، والانكشاف قبل الخلق وبعده، فلا يحصل بالحضور الوجودي زيادة في الانكشاف، ولا يحصله شيء لم يكن قبله، إنما اختلاف المعلوم بالوجود الخارجي وعدمه، كما لا يقع اختلاف في علمه تعالى باختلاف مراتب القدر والقضاء والإمضاء.

وليست الصور العلمية صادرة عنه صدور الأمور العينية، فتكون من أفعاله سبحانه وتعالى ويلزم وجودياً أزلياً معه كما زعمه قوم، إذ الصور العلمية توابع غير عينية لذات العالم، ولا تحصل لها عند الانكشاف لذي العلم، ولا حظَّ لها من الوجود والحصول العينيّ أبداً، ولا مسبوقيَّة لها إلا بذات العالم، لكنها ليست في مرتبة ذاته.

فالأشياء بوجوداتها العلمية منكشفة لله تعالى بذاته، قبل وجوداتها العينية، وإذا تشخصت ووجدت في الخارج يقع العلم على المعلوم بوجوده العيني، والسمع كذلك على المسموع، والبصر كذلك على

---

(١) الكافي ج١: ١٠٨.

المبصر، وإلى هذا أشار ما رواه الكليني في الكافي باسناده، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لم يزل الله عزوجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاتها ولامقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المُبصَر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحرِّكاً؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك، إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلِّماً؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عزوجل ولا متكلم»[1].

وقد كثر في الحديث عن أئمة المذهب صلوات الله عليهم أن الله كان ولا شيء غيره، ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه، كعلمه به بعد كونه، فالمولى سبحانه أدرك الأشياء جميعاً كلياتها وجزئياتها إدراكاً تاماً، وأحاط بها إحاطة كاملة قبل خلقها وبعده على شرع سواء([2])، ولم يزل عالماً بأن أيَّ حادث يوجد في أي زمان من الأزمنة، وكم الفصل بينه وبين الحادث الذي يليه أو الذي سبقه، كما كان يعلم بأن كل شخص في أي جزء في المكان يوجد، وأي نسبة تكون بينه وبين ماعداه مما يقع في ست جهاته، وكم الأبعاد بين الأشياء، ولايحكم هناك على شيء بأنه موجود أومعدوم، أو حاضر أو غائب، لأنه تعالى ليس بزماني ولامكاني بل هو بكل شيء محيط أزلاً وأبداً، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[3].

فعلمه تعالى بأن شيئاً وجد عين العلم الذي كان له تعالى بأنه سيوجد

---

(١) الكافي ج١: ١٠٧.

(٢) راجع بعض ما ورد عن المعصومين عليهم السلام في علم الله في الفصل الثالث التعليقة-١٧.

(٣) سورة البقرة / الآية ٢٥٥/.

ولا تفاوت إلا في الإشارة إلى الموضوع، وهذا لا يؤثر تفاوت العلم بالقضية، ونفس هذا الفرق في الإشارة ترجع إلى تغير المعلوم لا العلم ولا يمكن القول بتعلق العلم بالأشياء بقيد الوجود العيني، وهو المنفيّ في صدر حديث حماد بن عيسى قال: «سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: لم يزل الله يعلم؟ قال: أنى يكون يعلم ولامعلوم، قال: قلت: فلم يزل الله يسمع؟ قال: أنى يكون ذلك ولا مسموع، قال: قلت: فلم يزل يبصر قال: أنى يكون ذلك ولامُبصَر، قال: ثم قال: لم يزل الله عليماً سميعاً بصيراً، ذات علامة سميعة بصيرة»[1].

---

(١) التوحيد ص١٣٩.

صفات الذات وصفات الفعل

يفرّق بين الصفات بأمرين.

تارة بأن كل صفة وجودية تقابل أخرى وجودية فهي من صفات الأفعال، لأن الذاتية عين ذاته وذاته مما لا ضدّ له، كالرضا والسخط، والحب والبغض، واللطف والقهر، والتوفيق والخذلان، والولاية والعداوة من الصفات المتقابلة الواقعة في الوجود بكلا الطرفين، والصفات التي لا تقابلها وجودية أخرى، وليس مقابلها إلا النفي المحض والممتنع بالذات فهي ذاتية، كالعلم والقدرة والحكمة والعزة والحياة.

وتارة أخرى بأن كل صفة تتعلق بالقدرة وجوداً وعدماً، فهي من صفات الأفعال، والتي لاتتعلق بها فهي ذاتية، مثلاً يجوز أن يقال: إنه يقدر أن يثيب ويعاقب ويقدر أن لا يثيب ولا يعاقب، ويقدر أن يحيي ويقدر أن يميت، ويهدي ويضل، ولا يجوز أن يقال يقدر أن يعلم وأن لا يعلم لأن أحد طرفيه واجب بالذات والآخر ممتنع، ومصحح المقدورية هو الإمكان.

العلم الإجمالي والتفصيلي:

وقد يُتصوَّر للعلم مرحلتان بنحو من الإجمال والتفصيل فيشترك بهما بين صفات الذات وصفات الفعل، فإن المعلومات بوجوداتها العلمية وإن كانت معلومة بحدودها وصفاتها، لكن الانكشاف بوجوداتها الخارجية غير الانكشاف العلمي، فكأن الانكشافات الحادثة الوجودية هي تفصيلات للانكشاف العلمي وهو مجملها، ومن هنا يمكن فرض الحديث فيه ويصح التعبير بالنفي عنه قبل الانكشاف الوجودي باعتبار الاختلاف الواقع في المعلوم وهو المعني في:

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران / الآية ١٤٢/.

(٣) سورة آل عمران / الآية ١٤٠/.

(٤) سورة المائدة / الآية ٩٤/.

(٥) سورة التوبة / الآية ١٦/.

(٦) سورة الكهف / الآية ١٢/.

(٧) سورة سبأ / الآية ٢١/.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾(1).

وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾(2).

المشيّة الأزلية والمحدثة:

وكذلك تعتبر في المشيَّة والإرادة جهتان: تُعَدُّ إحداهما من صفات الذات، وتكون الأخرى من صفات الفعل كما سيقرر.

قال شيخنا الكليني في الكافي ج١: ١١١، بعد حديث«المشيَّة محدثة».

«جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل».

«إن كل شيئين وصفت الله بهما وكانا جميعاً في الوجود فذلك صفة فعل، وتفسير هذه الجملة: أنك تثبت في الوجود ما يريد ومالا يريد وما يرضاه ومايسخطه وما يحب وما يبغض، فلو كانت الإرادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان مالا يريد ناقضاً لتلك الصفة، ولو كان ما يحب من صفات الذات كان ما يبغض ناقضاً لتلك الصفة، الا ترى أنّا لا نجد في الوجود مالا يعلم ومالا يقدر عليه، وكذلك صفات ذاته الأزلي لسنا نصفه بقدرة وعجز، وعلم وجهل، وسفه وحكمة وخطأ، وعز وذلّة ويجوز أن يقال: يحب من أطاعه ويبغض من عصاه، ويوالي من أطاعه ويعادي من عصاه وأنه يرضى ويسخط ويقال في الدعاء: «اللهم إرضَ عني ولا تسخط علي، وتولّني ولاتعادني» ولا يجوز أن يقال: يقدر أن يعلم ولا يقدر أن لا يعلم، ويقدر أن يملك ولا يقدر أن لا يملك، ويقدر أن يكون عزيزاً حكيماً، ولا يقدر أن لا يكون عزيزاً حكيماً، ويقدر أن يكون جواداً ولا يقدر أن لا يكون جواداً، ويقدر أن يكون غفوراً ولا يقدر

---

(١) سورة الحديد / الآية ٢٥/ .

(٢) سورة محمد / الآية ٣١/ .

أن لا يكون غفوراً، ولا يجوز أيضاً أن يقال: أراد أن يكون ربّاً وقديماً وعزيزاً وحكيماً مالكاً وعالماً قادراً، لأن هذه من صفات الذات والإرادة من صفات الفعل، ألا ترى أنه يقال: أراد هذا ولم يرد هذا، وصفات الذات تنفي عنه بكل صفة منها ضدَّها، يقال: حيٌّ وعالم وسميع وبصير وعزيز وحكيم، غنيٌّ ملك، حليم، عدل، كريم، فالعلم ضدُّه الجهل، والقدرة ضدها العجز، والحياة ضدها الموت، والعزة ضدها الذلة، والحكمة ضدها الخطأ، وضد الحلم العجلة والجهل، وضد العدل الجور والظلم».

أقول: إنما تُعدُّ المشيَّة والإرادة من صفات الفعل وتكون وجوداً وعدماً متعلق النفي والإثبات، باعتبار من جهتها، وأما باعتبار جهتها الأخرى فهي من صفات الذات وجوبية وجوداً، ولا يمكن انتساب عدمها إليه تعالى.

والتوضيح: أن لله تعالى مشيَّة أزليَّة إجماليَّة هي عين ذاته، ومناطها هو مناط العلم الأزلي الإجمالي، غير أن مشيَّته أحدية التعلُّق، وهي نسبة تابعة للعلم، كما أن العلم نسبة تابعة للمعلوم، ولا أثر للعلم في المعلوم، بل هي تابع للمعلوم، والحكم على المعلوم تابع له، فلا حكم من العلم على المعلوم إلا بالمعلوم، وهي معرفة صفات الأشياء، وحدودها متضمنة للعلم، بل هي إنشاؤها إنشاءً علمياً قبل اظهارها، وهي مصدر إراداته، كما ورد في حديث الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد قال: «سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدَّر وقضى وأمضى، فأمضى ما قدَّر، وقدَّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيّة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء والعلم متقدم على المشيّة، والمشيّة

ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء.

فلِلّه تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشيّة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواسّ من ذوي لون وريح ووزن وكيل، ومادبَّ ودرج من إنس وجن وطير وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء، والله يفعل ما يشاء، فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدَّر أقواتها وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنهم ودلَّهم عليها وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم»[1].

فقسّم المولى سبحانه وتعالى بالمشيّة والإرادة الأزليّتين عباده إلى قسمين، وإنما الغاية في أفاعيله التفصيلية إيصالها إلى كمالاتها وسوقها إلى غاياتها، فانقسمت الأفعال الصادرة عن قدرته تعالى وإرادته إلى قسمين: قسم ينساق به إلى الغاية والحكمة في إيجاد الشيء، وقسم يقف دون البلوغ إلى الغاية وكان لكلٍّ منهما نسبة إلى صفة القدرة والمشيَّة، فاستعير لتسمية البالغ إلى الغاية اسم المحبوب، ولبلوغه إليه اسم السعادة كما استعير لتسمية الواقف دون غايته اسم المبغوض، ولحالته في الوقوف اسم الشقاوة، فمن سبقت له المشيَّة في الأزل أن تستعمله القدرة الإلهية المودوعة في الذوات البشرية للانسباق إلى الغاية والارتقاء

(١) الكافي ج١: ١٤٨.

إلى الدرجة القصوى، وفَّقه الله لذلك وهيأت له أسباب الوصول، ويكون ذلك توفيقاً وهداية ولطفاً ورضاً في حقه، ومن سبقت له المشيَّة الأزلية بالانقطاع عن الغاية والاستيقاف به دون البلوغ إلى الحكمة، وذلك بتسليط الدواعي والبواعث عليهم، فيكون ذلك قهراً وخذلاناً وغضباً في حقهم وإضلالا ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[1] وإلى بيان هذا المعنى أشير فيما رواه ثقة الإسلام الكليني عن علي بن محمد رفعه، عن شعيب العقرقوفي، عن أبي بصير قال: «كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : أيها السائل حُكْم الله عزّ وجلّ لا يقوم له أحد من خلقه بحقِّه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ماهم أهله، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاء ما شاء وهو سره»[2].

فهذا الحديث يصرِّح بأن معنى المشيَّة التي تتعلق بالأشياء كلها على نحو واحد إنما هو انكشافاتها التفصيلية في علم الله تعالى على صفاتها وحدودها وهي المراد من المشيَّة الواردة في دعاء السجاد زين العابدين سلام الله عليه في صحيفته: «ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيَّته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته»[3].

وإلى هذه المشيَّة والإرادة الأزلية أشير فيما رواه شيخنا الصدوق في

---

(١) سورة الأعراف / الآية ٣٠/.

(٢) الكافي ج١: ١٥٣.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ.

توحيده بالإسناد عن الإمام الكاظم سلام الله عليه في حديث: «لم تزل له القدرة أنشأ ما شاء حين يشاء بمشيَّته وقدرته»[1].

وقد شاء الله تعالى بالمشيَّة الحتمية أن لا يكون شيء إلا بعلمه على طباق ما في علمه ومشيئته بالنظام الأعلى، وما هو الخير والأصلح ولوازمهما، وهي المرادة في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[2] ممَّن يعلم صلاحه للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[3] سواء أُريد من الروح القرآن، أو كل كتاب أنزله على نبي من أنبيائه، أو الوحي، أو جبرئيل، أو النبوة على اختلاف التفاسير. فإنَّ كل هذه في علمه ومشيَّته الأزلية المتعلقة بما هو الصالح، وهي المعنيَّة في قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[4]. فقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ بعد ذكر المشيّة يفسرها ويوضحها، ويعرب عن أن الأشياء والأفعال بأسرها محاطة بمشيّة الله تعالى، وعليه فليتوكل الموحِّدون، كما توكل عليه شعيب في إيمانه في أن يثبته عليه، ويخلصه من الأشرار بحوله وقوته.

وهذه المشيّة تتأخر في الرتبة عن العلم الأزلي ويتلوه، وإن كانا بمناط واحد، وتسمى في لسان الحديث: بالذكر الأول، وبمشيَّة العلم، وبابتداء الفعل، وبإرادة عزم.

فالأول: كما في حديث يونس بن عبد الرحمن، المروي عن أبي

---

(١) التوحيد: ١٤١.

(٢) سورة النحل / الآية ٢/ .

(٣) سورة غافر / الآية ١٥/ .

(٤) سورة الأعراف / الآية ٨٩/ .

الحسن الرضاعليه السلام قال: «يا يونس لا يكون إلا ماشاء الله وأراد وقدَّر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيّة؟ قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ فقلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال والقضاء هو الإبرام وإقامة العين». الحديث[1].

فالمراد بالذكر الأول هو علمه ومشيئته تعالى بنظام الخير، وهي غير زائدة على علمه بغيره، ونحن إذا علمنا أمراً مقدوراً لنا لم يكن علمنا سبباً لفعلنا له ما لم يحدث فينا شوق إليه، ثم إرادة جازمة هي العزم عليه، ثم تحريك لأعضائنا وهو تعالى ليس كذلك بل علمه مشيئته.

والتعبير الثاني: قد ورد في حديث الرضاعليه السلام، المروي في فقه الرضا، قال: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد، وشاء الطاعة وأراد منهم، لأن المشيَّة مشيَّة الأمر ومشيَّة العلم، وإرادته إرادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة، ورضاً بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمر بها»[2].

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١: ١٥٧، عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن إسماعيل ابن مرار، عن يونس بن عبد الرحمان«قال: قال لي أبو الحسن الرضاعليه السلام : يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدريه لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس، فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين. وقال إبليس: رب بما أغويتني، فقلت: والله ما أقول بقولهم، ولكني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى، فقال: يايونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى. يا يونس تعلم ما المشيّة؟ قلت: لا؟ قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ قلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين. قال: فاستأذنته أن أقبّل رأسه وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة».

(٢) فقه الرضا: باب معرفة القضاء والمشيّة والارادة.

وهذا الحديث يقرئنا دروساً عالية في بيان المشيّة والإرادة وأزليتها وغير أزليتها، واختلاف معانيها باختلاف متعلقيها، وأنَّ هي في الطاعة غير التي في المعصية.

وأما التعبير عنها بابتداء الفعل فقد ورد في حديث الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وقدَّر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدَّر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه» الحديث[1].

وفي محاسن البرقي بإسناده الصحيح عن يونس، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «قلت: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى فقال: لا يكون إلا ماشاء الله وأراد وقدَّر وقضى، قال: قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدَّر» الحديث.[2] وأحسب أن في الكافي سقطاً من الحديث.

ومعنى قوله عليه السلام ابتداء الفعل، يعني أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه، مما يؤدي إلى وجود المعلوم هو الوجود الإنشائي العلمي الذي يكون بالمشيّة، كما مرَّ في حديث معلى بن محمد من قول العالم عليه السلام : «وبالمشيَّة عرف صفاتها وحدودها وانشأها قبل إظهارها» الحديث[3].

---

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ج١: ١٥٠، عن علي بن محمد بن عبد الله، عن أحمد ابن أبي عبد الله، عن أبيه، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن علي بن إبراهيم الهاشمي قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: لا يكون شيء إلا ما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدَّر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: ما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الذي لا مرد له».

(٢) المحاسن ج١: ٢٤٤، البحار ج٥: ١٢٢. مسند الامام الرضا ج١: ٢٠.

(٣) الكافي ج١: ١٤٨.

فأول عالم من عوالم السير الوجودي هو عالم الإنشاء العلمي الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[1].

ففي الكافي عن الصادق عليه السلام كان مقدَّراً غير مذكور[2].

وفي المجمع كان شيئاً مقدوراً ولم يكن مكوَّناً[3].

وفي المحاسن عن الباقر عليه السلام : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً[4].

وفي المجمع عن الباقرين كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق[5].

وقد يطلق الخلق على هذا الإنشاء العلمي التقديري كما في حديث رواه شيخنا الصدوق في التوحيد عن أبي عبدالله عليه السلام : «إن الله عزّ وجلّ خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه، فمن علمه الله تعالى سعيداً لم يبغضه أبداً وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه، وإن كان علمه شقياً لم يحبه أبداً»[6].

فالمراد هو الخلق العلمي التقديري الإنشائي الذي يحصل بالمشيّة وهذا معنى قولهم عليهم السلام: «أفعال العباد مخلوقة» كما فسّر به في حديث رواه شيخنا الصدوق في العيون، بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: «أفعال العباد مخلوقة، فقلت له يابن رسول الله: ما معنى مخلوقة؟ قال:

---

(١) سورة الإنسان / الآية ١/ .

(٢) الكافي ج١ : ١٤٧.

(٣) مجمع البيان ج١ : ٤٠٦.

(٤) المحاسن ج١ : ٢٤٣.

(٥) مجمع البيان ج١٠ : ٤٠٦.

(٦) التوحيد: ٣٥٧، الكافي ج١ : ١٥٢.

مقدَّرة(1).

وفي الكتاب بإسناده عن الرضا عليه السلام فيما كتب عليه السلام للمأمون من محض الإسلام: «إن الله تبارك وتعالى لا يكلِّف نفساً إلا وسعها وإنَّ أفعال العباد مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء»(2).

وفي التوحيد بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام : «إن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين»(3).

وفي الكتاب بإسناده عن حمدان بن سليمان قال: «كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن أفعال العباد أمخلوقة هي أم غير مخلوقة فكتب عليه السلام «أفعال العباد مقدَّرة في علم الله عزّ وجلّ قبل خلق العباد». الحديث(4).

فباعتبار تلك الأفعال المعلومة المقدَّرة بالمشيّة، المكتوبة بقلم الإرادة، المنشأة بالمشيّة الأزلية، المخلوقة بوجوداتها العلمية عند علاَّم الغيوب، اتَّصف العباد من ذلك اليوم بالسعادة والشقاوة، وتوسَّم بالحب والبغض، وبذلك يعرفون في جميع عوالمهم، من عالم المشيَّة، إلى عالم الإرادة، إلى عالم التقدير، إلى عالم القضاء، إلى عالم الإمضاء، إلى الخلق التكويني، وعلى ذلك خلقوا، وعليه يموتون، وعلى ذلك يعودون إلى مولاهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾(5).

وهو المعنيّ بقول النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله «الشقيّ من

---

(١) عيون اخبار الرضا ج١: ٢٤٥ط النجف.

(٢) عيون اخبار الرضا: ج١: ١٢٣ ط النجف.

(٣) التوحيد: ٤٠٧ و٤١٦.

(٤) التوحيد: ٤١٦.

(٥) سورة الاعراف / الآية ٢٩-٣٠/.

شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمّه»[1].

وقد صرَّح بهذا البيان أبو الحسن موسى عليه السلام فيما رواه شيخنا الصدوق في التوحيد، بإسناده عن ابن أبي عمير قال: سألته عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقيُّ من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه، فقال عليه السلام : الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء»[2].

ولمَّا كانت أفعال العباد ومنوياتهم ومصائرهم معلومة مقدَّرة مخلوقة بالوجودات التقديرية، ومنشأة بالإنشاء العلمي، وخلق كلاً في الوجود العينيّ الكونيّ العنصريّ على ما هو عليه في عوالمه العلمية وخلقه العلميّ التقديريّ وهو هو في جميع عوالم سيره إلى الله تعالى، فمنهم من ولد للسعادة، ومنهم من ولد للشقاء، وكلٌّ صائرون إلى ما هو عليه في عوالمه السالفة كما يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه:

«ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيّته اختراعا ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عمَّا قدَّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخَّرهم عنه»[3].

ويقول عليه السلام في دعاء آخر له: «ليت شعري أللشقاء ولدتني أمي أم للعناء ربتني، فليتها لم تلدني ولم تُربِّني، وليتني علمت أمن أهل السعادة جعلتني، وبقربك وجوارك خصصتني، فتقرَّ بذلك عيني،

(١) فصَّل القول في هذا البحث شيخنا الوالد قدس سره في رسالته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ سورة الواقعة ٧-٨.

(٢) التوحيد ص٣٥٦.

(٣) الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد.

وتطمئن له نفسي»[1].

وإلى هذه المشيَّة الأزلية المتعلقة بجميع الأشياء المحيطة بأفعال المكلّفين كلّها وتطابقها مع المشاء في الخارج، وتحقق الأفعال الاختيارية في الكون على ما شاء الله بمشيئته الأزلية التي تساوي علمه المقدس الأزلي أشير فيما رواه ثقة الإسلام الكليني، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «سمعته يقول: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل»[2].

وبالإسناد عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهي آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيّة الله تعالى، وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيّة إبراهيم مشيّة الله تعالى»[3].

وروى شيخنا الصدوق في توحيده الحديث الثاني باختلاف في بعض ألفاظه وأحسبه هو الصحيح ولفظه:

«إن لله إرادتين ومشيّتين إرادة حتم وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيّتهما مشيّة الله، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيّة إبراهيم مشيّة الله عَزَّ وَجَلَّ»[4].

(١) الصحيفة السجادية، «مناجاة الخائفين».

(٢) الكافي ج١: ١٥٠.

(٣) الكافي ج١: ١٥١.

(٤) التوحيد ص٦٤. راجع تمام الحديث في الفصل الثالث التعليقة-١٨.

فالحديثان يعربان عن أن هذه المشيّة لادخل لها في الأمر بالشيء والنهي عنه، ولاتأثير لها في المعلوم والمشاء، فإن الله نهى آدم عن أكل الشجرة وجعل له اختيار إرادة أي طرفي الفعل والترك، وشاء بمشيّته الأزلية أن يأكل، وأمر إبليس أمراً إيجابياً أن يسجد، وله الارادة والاختيار في طرفيها وشاء أن لا يسجد، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه بإرادته واختياره وشاء أن لا يذبح، يعني كان الله تعالى يعلم من كل منهم ما يصدر منه ويختاره بإرادته فطابق المشاء بالمشيّة، ووقع الأمر على مشيّته تعالى، ولو شاء خلاف ما وقع، يعني لو كان يعلم ويشاء بالمشيّة الأزلية خلاف ذلك لكان وقوع الأمر أيضاً على ما شاء الله، واختار كل بإرادته ما شاء الله وعلم، ولما غلبت مشيَّتهم على ما شاء الله وما خالفها لإيجاب تطابق العلم بالمعلوم والمشيّة مع المشاء من دون أي أثر له في المعلوم، وإلاَّ لغلبت مشيّة العباد مشيّة الله تعالى ولزم الجهل، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويلوِّح هذا المعنى في المشيّة المتعلقة بأفعال العباد الحديث الذي أسلفناه عن الرضا سلام الله عليه قال: «قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد، وشاء الطاعة وأراد منهم لأن المشيّة مشيّة الأمر ومشيَّة العلم وإرادته إرادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة ورضاً بها، وشاء المعصية يعني علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها» الحديث.

ويمكن القول بأن المراد من المشيّة في هذين الحديثين المشيّة المحدثة بمعنى إرادة اختيار بالمعنى الذي سنبينه لا بمعنى إرادة حتم، وهناك معان أُخَر يمكن إرادة بعضها، وقد فصلها العلامة المجلسي[1].

وقال شيخ الحديث الفيض الكاشاني في الوافي ج١ ص١١٥ في بيان

(١) راجع الفصل الثالث التعليقة ١٩.

الحديث الأول: «سر هذا الكلام أن لله سبحانه وتعالى بالنسبة إلى عباده أمرين: أمراً إرادياً، إيجابياً، وامراً تكليفياً، إيجابياً.

الأول بلا واسطة الأنبياء عليهم السلام، ولا يحتمل العصيان، والمطلوب منه وقوع المأمور به، ويوافق مشيّته تعالى طرداً وعكساً لا يتخلف عنها البتة، فيقع المأمور به لا محالة، وإليه أشير بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

والثاني يكون بواسطة الأنبياء عليهم السلام والمطلوب منه قد يكون وقوع المأمور به، فيوافق مشيّته تعالى ويقع المأمور به من غير معصية فيه، كالأوامر التي كلف الله بها الطائعين.

وقد يكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لِحِكَم ومصالح ترجع إلى العباد، فهذا الأمر الذي لا يوافق المشيّة ولا الإرادة، يعني لم يشأ الله به وقوع المأمور به، ولا أراده، وإن شاء الأمر به وأراد وأمر ولذلك لم يقع المأمور به» انتهى.

لا يخفى أن هذا البيان صحيح في حدّ ذاته، ومحصّله إن لله أمرين: تكوينياً لا يحتمل الخلف طرداً وعكساً، وتشريعياً وهو على قسمين: قسم يكون المطلوب منه وقوع المأمور به، وآخر يكون المطلوب منه نفس الأمر، لكن لا يتم في المقام، إذ قوله عليه السلام : «وشاء أن لا يسجد ولو شاء لسجد». وقوله: «وشاء أن يأكل منها ولو لم يشأ لم يأكل» وقوله: «وشاء أن لا يذبحه» يعرب عن أن هناك مشيَّة موجودة لله تعالى على خلاف ما أمر به ونهى عنه، والمشاء غير المأمور به، والمنهي عنه، لا أنه ليس هناك مشيّة بالنسبة إلى طرفي المأمور به من الفعل والترك، ولا دخل لطاعة المطيعين وعصيان العاصين في انقسام الأمر بما ذكر، ومطلوبيَّة

(١) سورة يس / الآية ٨٢/.

وقوع المأمور به وعدمها، لا تتبع الطاعة والعصيان ولا العكس، وليس كلُّ ما لم يقع المأمور به يحكم بعدم مطلوبيته ويعدّ من القسم الثاني وإن وقع يحكم به، ويعد من القسم الاول. وإلى تطابق المرادات كلها مع المشيَّة الأزلية، ووقوع الأفعال بأسرها في الخارج على ما هي في مشيّته وعلمه تعالى نص سبحانه وتعالى في كتابه في موضعين بقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] وهو معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هذا إجمال القول في المشيَّة الأزلية التي هي من صفات الذات.

المشيَّة والإرادة المحدثة

هناك إرادة ومشيّة محدثة تتبع المشيّة الأزلية، وتسمى بالثبوت والعزم، كما مر في حديثي يونس بن عبد الرحمن، وتكون متعلّق النفي والإثبات، وتُعدُّ من صفات الفعل، وهي المعنية في حديث محمد بن مسلم المروي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «المشيّة محدثة»[2].

وهي المنفيَّة أزليَّتها في حديث عاصم بن حميد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت لم يزل الله مريداً؟ قال: إن المريد لا يكون إلا المراد معه لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد»[3].

وهذه هي التي تغاير العلم وتخالفه، وهي المسؤول عنها في حديث بكر بن أعين المروي في الكافي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : «عِلْم الله ومشيئته هما مختلفان أو متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيّة. ألا ترى

(١) سورة التكوير / الآية ٢٩/ .

(٢) التوحيد: ٣٣٦.

(٣) الكافي: ج١: ١٠٩.

أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله، فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله السابق للمشيّة»[1].

ولما كانت الأشياء برمتها مقدَّرة بقلم هذه الإرادة، وهي محدثة بالمشيَّة الأزلية المكتوبة في صحيفة العلم الأزلي، ولا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدَّر وقضى وأمضى، وما لم يشأ لم يكن، فللموحد ربط إرادته بمشيّة مولاه، وإحالة أفعاله إليها، والإنباء عن ايجادها، لا بصورة القطع، بل بقيد التطابق بالمشيَّة، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]. قال الفراء: إن قوله تعالى: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3] بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولنَّ إني فاعل شيئاً غداً إلا مشيّة الله.

ولكون هذه الإرادة أول مراحل الحدوث ومدارجها بالنسبة إلى جميع الأشياء فهي محدثة وراء المشيّة الأزلية، وتحدث بعدها التقدير، ثم القضاء، ثم الإمضاء والحكم، يسأل الإمام السجادعَلَيْهِ السَّلَامُ قضاء حوائجه بقوله في صحيفته: «واستجب لي جميع ما سألتك وطلبت إليك ورغبت فيه إليك وأَرِدْهُ وقدِّره واقضِه وأمضِه، وخِرْ لي فيما تقضي منه، وبارك لي في ذلك»[4].

وهذه المشيّة والإرادة إنما تحدث فينا عقيب الدواعي، وهو تصور الشيء الملائم تصوراً ظنياً، أو تخيُّلياً، أو علمياً، فإنَّا إذا أدركنا شيئاً فإن وجدنا ملاءمته أو منافرته لنا دفعة بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منَّا

(١) الكافي: ج١: ١٠٩.
(٢) سورة الكهف / الآية ٢٣-٢٤/.
(٣) سورة الكهف / الآية ٢٤/.
(٤) الصحيفة السجادية، دعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الأضحى والجمعة.

شوق إلى جذبه أو دفعه، وتأكُّد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمى بالإرادة، وهي إذا انضمت إلى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلة انبعثت تلك القوة لتحريك الأعضاء فيحصل الفعل.

وأما إرادة المولى سبحانه وتعالى فليست إلا الفعل إن كانت حتمية متعلقة بأفعاله تعالى، والأمر بالشيء والرضا له إن كانت عزميَّة على التفصيل الآتي إن شاء الله تعالى.

وهذه الإرادة المحدثة هي المَعنيَّة من المشيّة في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1].

وفيما في تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[2] أي يقدِّر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء، والمشيّة، يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق، والبلايا والأعراض والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء»[3].

وهي المرادة فيما رواه الصفار في بصائر الدرجات في حديث عن أبي جعفر عليه السلام

قال: «إن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه فما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة فذلك يا حمران علم موقوف عنده، إليه فيه المشيّة، فيقضيه اذا اراد»[4].

ومنها: ما في تفسير العياشي عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام،

---

(١) سورة الرعد / الآية ٣٩/ .

(٢) سورة الدخان / الآية ٤/ .

(٣) تفسير القمي: ٦١٥ ط إيران.

(٤) بصائر الدرجات ج٢: ١١٣، البحار ج٤: ١١١ وفيه زيادة.

قال: «سألته عن قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[1] قال: المسمَّى ما سُمِّي لملك الموت في تلك الليلة، وهو الذي قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[2] وهو الذي سمي لملك الموت في ليلة القدر، والآخر له فيه المشيّة إن شاء قدَّمه وإن شاء أخَّره[3].

وفي رواية حمران الأخرى قال: «هما أجلان، أجل موقوف يصنع ما يشاء، وأجل محتوم»[4].

وفي رواية عنه: «وأما الأجل الذي غير مسمًّى عنده فهو أجل موقوف يقدّم فيه ما يشاء ويؤخر فيه ما يشاء، وأما الأجل المسمَّى فهو الذي يُسمَّى في ليلة القدر»[5].

وروى العياشي، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾[6] قال: الأجل الذي غير مسمًّى موقوف يقدِّم منه ما شاء ويؤخِّر منه ما شاء، وأما الأجل المسمَّى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل قال: فذلك قول الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾[7] ونظير هذه من الأخبار كثيرة جداً.

---

(١) سورة الأنعام / الآية ٢/ .
(٢) سورة يونس / الآية ٤٩/ .
(٣) تفسير العياشي ج١ : ٣٥٤.
(٤) تفسير العياشي ج١ : ٣٥٤، ٣٥٥.
(٥) تفسير العياشي ج١ : ٣٥٥.
(٦) سورة الأنعام / الآية ٢/ .
(٧) سورة الأعراف / الآية ٣٤/ والنحل/ الآية ٦١/ . والحديث ذكره العياشي في تفسيره ج١ : ٣٥٤.

إرادة تكوين وتشريع

هذه الإرادة والمشيّة المحدثة تتعلق بالأشياء كلها، لكن تعلُّقها بها على أنحاء مختلفة، تختلف باختلاف متعلقاتها، فإنها إذا تعلقت بأفعال نفسه سبحانه يكون بمعنى الإيجاد والرضا بها، وتسمى بالإرادة التكوينية، وتكون بأمر إرادي إيجادي، وليس هناك قول وأمر ونهي، بل هي الخلق والإيجاد كما قال الإمام السجادعَلَيْهِالسَّلَامُ في دعائه: «فهي بمشيّتك دون قولك مؤتمرة، وبإرادتك دون نهيك منزجرة»[1].

ويصرِّح بهذا ما رواه شيخنا الصدوقرَحِمَهُاللَّهُ في توحيده وعيونه عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الرضاعَلَيْهِالسَّلَامُ، قال: قلت: «أخبرني عن الإرادة من الله ومن المخلوق؟ قال: فقال: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله عَزَّوَجَلَّ فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه لا يروِّي، ولا يهمّ، ولا يتفكَّر، وهذه الصفات منفية عنه، وهي من صفات الخلق، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق بلسان، ولا همَّة ولا تفكُّر، ولا كيف لذلك، كما أنه بلا كيف»[2] ولا يُحتمل فيه العصيان والتخلف، وإنما المطلوب منه وقوع المأمور به، ويوافق مشيّته تعالى طرداً وعكساً لا يتخلف عنها البتة فيقع المراد لا محالة وهي المَعنيُّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

وإن تعلقت هذه الإرادة بما ليس من أفعال نفسه فتسمى بإرادة تشريعية. فإن كانت متعلقة بالطاعات تكون بمعنى الأمر بها والرضا لها

---

(١) الصحيفة السجادية، دعاؤهعَلَيْهِالسَّلَامُ إذا عرضت له مهمة.

(٢) التوحيد: ١٤٧، عيون أخبار الرضا ج١: ٩٧ط النجف.

(٣) سورة النحل / الآية ٤٠/.

وإن تعلقت بالمباحات تكون بمعنى الرخصة، وإذا تعلقت بالمعاصي تكون بمعنى النهي، وعدم المنع عنها بالجبر لتحقق الابتلاء والتكليف، كما ورد في حديث يزيد بن عمير المروي في العيون بالإسناد عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: «فهل لله عزّ وجلّ مشيّة وإرادة في ذلك فقال: أما الطاعات فإرادة الله ومشيّته فيها الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيَّته في المعاصي النهي عنها والسخط لها، والخذلان عليها، قلت: فلله عزّ وجلّ فيها القضاء قال: نعم ما من فعل يفعله العباد من خير وشرّ إلا ولله فيه قضاء، قلت: فما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»[1].

وروى شيخنا الصدوق في توحيده عن حمزة بن حمران بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قلت: أصلحك الله فاني أقول: إن الله تعالى لم يكلف العباد الا ما يستطيعون وإلا ما يطيقون فإنهم لا يصنعون شيئاً من ذلك إلا بإرادة الله ومشيّته وقضائه وقدره، قال: هذا دين الله الذي أنا عليه وآبائي».

ثم قال الصدوق: «مشيّة الله وإرادته في الطاعات الأمر بها، وفي المعاصي النهي عنها، والمنع عنها بالزجر والتحذير» انتهى[2].

وهذا المعنى هو المراد من الإرادة الواردة في دعاء السجاد سلام الله عليه في صحيفته«ثم سلك بهم ـ يعني الخلق ـ طريق إرادته، يعني طريق أمره ونهيه».

وكذلك هي المعنية بالمعنى المذكور في قوله عليه السلام في صحيفته: «أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك، أو زال عن محبتك من خطرات

(١) عيون أخبار الرضا ج١: ١٠١، ١٠٢ ط النجف.

(٢) التوحيد: ٣٤٦.

قلبي».

وهذه عبارة مجملة يفصلها قوله الآخر في دعاء له عليه السلام: «ثم أمرنا ليختبر طاعتنا، ونهانا ليبتلي شكرنا، فخالفنا عن طريق أمره، وركبنا متون زجره»[1].

ولا تتعلق الإرادة الحتمية الإيجادية التي لا يتصور فيها الخلف طرداً وعكساً بما ليس من أفعال نفسه تعالى من الطاعات وغيرها من أفعال العباد، بل كلها مرادة بإرادة تشريع وإلا لزم الجبر ولزال التكليف.

نعم قد تعلقت إرادته التكوينية الحتمية بالأحكام من الأمر والنهي والرخصة وقد فعل ووقع الحكم على ما أراد ولا خلف، وإلى هذا المعنى أُشير بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[2].

يعني شاء الله بإرادة تشريع أن يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإجبار والاضطرار، وإلا لآمن الجميع، إذ لم يتصور خلف هناك، ثمَّ بيَّن تعالى لنبيه أني أنا أَقْدَرُ على الإكراه منك ولكنه لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، وإليه أشير أيضاً بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[3].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾[5].

---

(١) جمل من دعائه عليه السلام إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله.

(٢) سورة يونس / الآية ٩٩/ .

(٣) سورة الأنعام / الآية ١١٢/ .

(٤) سورة النحل / الآية ٩/ .

(٥) سورة البقرة / الآية ٢٥٣/ .

وإليه أشير أيضاً بقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1].

وقد بيَّن الله في كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرك وكذَّب الذين أضافوا إليه ذلك فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[2] فأخبروا أنهم إنما أشركوا بمشيّة الله تعالى فلذلك كذَّبهم وقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ﴾[3] يعني هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرك ثم قال: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[4].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[5] خبَّرَ أنَّ الرسل قد دعت إلى الايمان فلو كان الله تعالى شاء الشرك بإرادة حتم لكانت الرسل قد دعت خلاف ما شاء الله فعلمنا أن الكفر غير مراد بإرادة حتمٍ كما أن الإيمان كذلك، ولو شاء الله ما أشركوا.

إرادة حتم وإرادة اختيار

إن جميع الأفعال وكل المتقابلات من الهداية والضلالة والإيمان والكفر والخير والشر والنفع والضرر والسوء والرحمة كلها منتهية إلى

(١) سورة الشعراء / الآية ٤/ .
(٢) سورة الأنعام / الآية ١٤٨/ .
(٣) سورة الأنعام / الآية ١٤٨/ .
(٤) سورة الأنعام / الآية ١٤٨/ .
(٥) سورة النحل / الآية ٣٥/ .

علم المولى سبحانه وتعالى ومشيّته وإرادته إما بالذات أو بالتبع، كتعلق إرادته ومشيّته إلى أفعاله تعالى، لكن يفرق بينهما بأنَّ المشيَّة والإرادة إن تعلقت بالطاعات وما يحبه المولى سبحانه فإنما هي بالذات ومعناها قد أسلفنا ذكره، وأما المتعلقة بالمعاصي والكفر والضرر والسوء ومالا يحبه فإنها تقع مرادة بالعرض والتبع، وهذه الإرادة والمشيّة تسمى بإرادة اختيار، ولا تَنافيَ بين تعلق الإرادة والمشيّة بشيء وبين أن لا يحبه لأنَّ تعلق المشيّة والإرادة بما لا يحبه بتعلقهما بوقوع ما يتعلق به إرادة العباد بإرادتهم وترتبه عليها، فتعلقهما بالذات بكونهم قادرين مريدين لأفعالهم وتَرتُّبها على إرادتهم، وتعلقها بما هو مرادهم بالتبع، ولا حجر في كون متعلّقهما بالتبع شرّاً غير محبوب له، فان دخول الشر ومالا يحبه في متعلق إرادته بالعرض جائز، فإن كلَّ من تَعْلَق مشيَّته وإرادته بخير وعلم لزوم شرٍّ له شريَّة لا تقاوم خيريَّته فقد تعلَّقتا بذلك الشر بالعرض والتبع، وذلك التعلق بالتبع لا ينافي أن يكون المريد خيِّراً محضاً غيرَ متَّصِفٍ بكونه شرِّيراً ومُحبّاً للشَّرِّ.

وهذا التقسيم والبيان إنما يستفاد من حديث صالح النيلي المروي في الكافي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام : «هل للعباد من الاستطاعة شيء؟ قال: فقال لي: إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم، قال: قلت: وماهي؟ قال: الآلة مثل الزاني إذا زنى كان مستطيعاً للزنا حين زنى، ولو أنه ترك الزنا ولم يَزنِ كان مستطيعاً لتركه إذا ترك.

قال ثم قال: ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير، ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا[1]، قلت: فعلى ماذا يعذبه؟ قال: بالحجة البالغة والآلة التي رَكَّبَ [ركَّبها] فيهم، إن الله لم يجبر أحداً على

(١) قد فصلنا معنى الاستطاعة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ المؤلف.

معصيته، ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد، ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر، وهم في إرادة الله وفي علمه أن لايصيروا إلى شيء من الخير، قلت: أراد منهم أن يكفروا؟ قال: ليس هكذا أقول، ولكني أقول: علم أنهم سيكفرون، فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست هي إرادة حتم إنما إرادة اختيار»[1].

فمحصل الجواب أن تعلق الإرادة بالكفر إنما هو بالعرض لا بالذات، بمعنى أنه لما أراد المولى سبحانه أن يعطي العبد إرادة واختياراً ويخلّيه واختياره، وهو أراد المعصية كأنه أراد ما أراد بالتبع والعرض إذ كان في علمه ومشيَّته أن لا يصيروا إلى شيء من الخير باختيارهم وإرادتهم المؤثرة، ولمّا كان معهود ذهن السائل من الإرادة إرادة حتم وإيجاد وتوهّم من الجواب الجبر فأوضح الإمام(سلام الله عليه) ببيان أقسام الإرادة بأن ليس مرادي ذلك المعهود، بل مرادي أن الله تعالى أراد بحسب مصلحة التكليف أن يَكِلَهم إلى اختيارهم وإرادتهم، وعلم أنَّ إرادتهم تتعلق بالكفر فتعلُّق إرادته بكفرهم من حيث تعلُّق إرادته بما يصير سبباً لإرادتهم الكفر مع علمه بذلك، وهذا لا يستلزم كون الكفر مقصوده ومطلوبه منهم، فإنَّ دخوله في القصد بالعرض لا بالذات، وتعلق الإرادة بالكفر بالعرض ليست موجبة للفعل إيجاباً يخرجه من الاختيار، لأن هذا التعلق من جهة إرادتهم واختيارهم، وما يتعلق بشيء من جهة الإرادة والاختيار لا يخرجه عن الاختيار ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾[2] وحكم لهم بالاهتداء﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[3] كل ذلك تبعاً لإرادة الفريقين من الهداية والضلالة﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) الكافي ج١: ١٦٢.
(٢) سورة الأعراف / الآية ٣٠/ .
(٣) سورة الأعراف / الآية ٣٠/ .

بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1].

فالهداية والإيمان والخير كلها مرادة له تعالى بالذات بالمعنى الذي أسلفناه يعني: أنه تعالى يريدها بإرادة تكليف وإيجاب، لا بإرادة إيجاد وتكوين، ويحبها ويأمر بها وفيها رضاه، والكفر والشرُّ والضلالة مرادة له تعالى بالعرض والتبع، ولاينافي مع إرادته ذلك أن يبغضه وينهى عنه ولا يرضى به.

ويعرب عن هذا ما رواه ثقة الإسلام في الكافي، عن فضيل بن يسار قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: شاء وأراد ولم يحبَّ ولم يرضَ، شاء أن لا يكون شيء إلا بعلمه وأراد مثل ذلك ولم يحب أن يقال: ثالث ثلاثة، ولم يرض لعباده الكفر»[2].

يعني شاء بالمشيَّة الحتمية أن لا يكون شيء إلا بعلمه، وعلى طبق ما في علمه بالنظام الأعلى وما هو الخير والأصلح ولوازمها، وأراد ما أراد مثل ذلك الذي شاء وأراد، ولم يحب الشرور اللازمة التابعة للخير والأصلح، كأن يقال: ثالث ثلاثة، وأن يُكفر به ولم يرضَ ولم يأمر بهما، بل ينهى عنهما، والإرادة بالاختيار هي المرادة في قوله تعالى﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾[3].

ولو كانت الهداية والضلالة مرادة لله تعالى بالذات لما كان يختار الشر والضلالة على الهدى، كما لو كان يعلم الهداية من الجميع لكان يعطي كل نفس هداها: كما قال تعالى:

---

(1) سورة الأنعام / الآية ١١٧/ .

(2) الكافي ج١ : ١٥١ .

(3) سورة الأنعام / الآية ١٢٥/ .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[3].

بل الله تعالى بيَّن السبل وأمر بالخير وحذَّر عن الشَّرِّ وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[4].

فأرسل الرسل وأنزل الكتب وجاء منه نور﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5].

فتَحصَّل مما بيَّناه أن إرادة الله تعالى الهداية والضلالة بمعنى التوفيق، والخذلان، والحب، والبغض، والقرب، والبعد، والنفع، والضرر، إنما تتبع إرادة المكلَّفين وتُحصِّل كل نفس ما تستحقه وتقتضيه بإرادته واختياره، كما قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ ﴾[6] والعنايات الإلهية وما يقابلها من آثار سخطه إنما تحقّ على ما يختاره العبد من النجدين، بل هي نحو جزاء ومثوبة وعقاب على مايرتئيه العبد ويعمل به كالامهال والإمتاء[7] الوارد في الكتاب الكريم ويعرب عن هذه كلها غير واحدة من الآيات منها:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ

---

(١) سورة السجدة / الآية ١٣/ .

(٢) سورة الأنعام / الآية ١٤٩/ .

(٣) سورة النحل / الآية ٩/ .

(٤) سورة الإنسان / الآية ٣/ .

(٥) سورة المائدة / الآية ١٦/ .

(٦) سورة الإسراء / الآية ٢٠/ .

(٧) أمتى إمتاء: طال عمره.

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[7].

وفي تفسير الإمام عليه السلام قال: «فمرضت قلوب القوم لما شاهدوا من ذلك مضافاً إلى ما كان من مرض حسدهم له ولعليٍّ بن أبي طالب فقال الله عند ذلك في قلوبهم مرض أي في قلوب هؤلاء المتمردين الشاكّين الناكثين لما اخذت عليهم من بيعة عليّ فزادهم الله مرضاً بحيث تاهت له قلوبهم جزاء بما آتاهم من هذه الآيات المعجزات»[8].

(١) سورة هود / الآية ١٥-١٦/ .
(٢) سورة آل عمران / الآية ١٤٥/ .
(٣) سورة الأنعام / الآية ١٠٨/ .
(٤) سورة النمل / الآية ٤/ .
(٥) سورة الإسراء / الآية ١٨-١٩/ .
(٦) سورة العنكبوت / الآية ٦٩/ .
(٧) سورة البقرة / الآية ١٠/ .
(٨) تفسير الإمام العسكري: ٤٤.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[3].

فالآية الشريفة تعرب عن أن ارادة الهلاك إنما بإرادة اختيار[4] وهي تتبع إرادة المترفين المعصية وفسقهم عن أمر ربهم، فجعل الأمر وعملهم مقدمة لتلك الإرادة، إذ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[6].

فالله تبارك وتعالى كما يريد الهداية من الجميع بإرادة إيجاب وأمر ورضا، كذلك يريد الهداية والضلالة بإرادة اختيار، فريقاً هدى فأراد لهم الهداية، وفريقاً ضلَّ حق عليهم الضلالة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾[8].

---

(١) سورة محمد / الآية ١٧/ .

(٢) سورة الحشر / الآية ١٩/ .

(٣) سورة الإسراء / الآية ١٦/ .

(٤) بعد كون المراد من الإرادة في الآية إرادة اختيار لا يبقى محل لتأويلات المفسرين في هذه الآية – المؤلف.

(٥) سورة القصص / الآية ٥٩/ .

(٦) سورة الإسراء / الآية ١٥/ .

(٧) سورة التغابن / الآية ١١/ .

(٨) سورة غافر / الآية ٣٤/ .

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[3].

وقال تعالى:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[4].

وعن الناس في هذه الآية: فيؤيد الله المؤمن بالملك فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[5].

وعن الكاظم عليه السلام :

«إن الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسيح في الثرى عند إساءته» الحديث[6].

---

(١) سورة غافر / الآية ٧٤/ .

(٢) سورة البقرة / الآية ٢٦/ .

(٣) سورة الزخرف / الآية ٣٦/ .

(٤) سورة المجادلة / الآية ٢٢/ .

(٥) روى الكليني في الكافي: ج٢/ ٢٦٧، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عمرة، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه: إذن ينفث فيها الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

(٦) أصول الكافي ج٢: ٢٦٨، نور الثقلين ج٥: ٢٦٩.

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1].

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة الليل / الآيات ٤-١٠/ .

الفصل الثالث

تكملة التعليقات

أحاديث السبع المثاني. حديث الرسول في شأن فاتحة الكتاب. أحاديث أم الكتاب. أحاديث أم القرآن. حديث الإمام العسكري(عليه السلام) في تفسير سورة الفاتحة. تفسير فاتحة الكتاب في كتاب أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى ملك الروم. الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين(عليه السلام). مرض القلوب في روايات المعصومين. أحاديث الإيمان وأثره في الجوارح. حديث قدسي في صلاح العباد. حديث الإمام الصادق(عليه السلام) في إثبات الصانع. حديث المذهب الصحيح في التوحيد. خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) في الخليقة. احتجاج الإمام الرضا(عليه السلام) في التوحيد. صفات الله في حديث الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام). حديث الامام الصادق(عليه السلام) في النهي عن وصف الله تعالى بصفة المخلوقين. علم الله في أحاديث المعصومين. نفي التشبيه في حديث الإمام الرضا(عليه السلام). بيان في الإرادة والمشيئة.



التعليقة ١

أحاديث «السبع المثاني»

في تفسير العياشي ج١: ٢٢، عن محمد بن مسلم، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم، فقال: فاتحة الكتاب [يُثنَّى فيها القول، قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله مَنَّ علي بفاتحة الكتاب] من كنز الجنة، فيها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية التي يقول فيها: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾(١) و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دعوى أهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال جبرئيل: ما قالها مسلم قط إلا صدقه الله وأهل سماواته، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إخلاص العبادة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أفضل ما طلب به العباد حوائجهم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط الأنبياء، وهم الذين أنعم الله عليهم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، و﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ النصارى».

ورواه السيد البحراني في تفسير البرهان ج١: ٤٢ و٥١، والمجلسي في البحار ج٩٢: ٢٣٧، والطبرسي في مجمع البيان ج١: ٣١.

وعن يونس بن عبد الرحمن، عمن رفعه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي سورة الحمد

---

(١) سورة الإسراء / الآية ٤٦ .

هي سبع آيات منها ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وإنما سُمِّيتِ المثاني لأنها يثنَّى في الركعتين.

تفسير العياشي ج١: ١٩، البرهان ج١: ٤٢.

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا كانت لك حاجة فاقرأ «المثاني» وسورة أخرى، وصلِّ ركعتين، وادعُ الله قلت: أصلحك الله وما المثاني؟ قال: فقال: فاتحة الكتاب، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين».

تفسير العياشي ج١: ٢١، البرهان ج١: ٤٢ وج٢: ٣٥٣، تفسير الصافي ج١: ٩١٢، البحار ج٩٢: ٢٣٦.

وروى العياشي في تفسيره ج٢: ٢٥١، عن السدّي عمن سمع عليّاً يقول: «سبعاً من المثاني» فاتحة الكتاب.

وذكره السيد البحراني في البرهان ج٢: ٣٥٤، والمجلسي في البحار ج٩٢: ٢٣٦.

وعن محمد بن علي بن محبوب، عن العباس، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي أيوب، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من السبع المثاني؟ قال: نعم، هي أفضلهن.

تهذيب الأحكام ج١: ٢١٨، نور الثقلين ج١: ٧. وسائل الشيعة ج٤: ٧٤٥.

التعليقة ٢

حديث الرسول في شأن فاتحة الكتاب

روى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا» ج١: ٣٠١ قال: «حدّثنا محمد بن القاسم المفسر المعروف بأبي الحسن الجرجاني رضي الله عنه قال: حدّثنا يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيّار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه الرضا علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب وهي سبع آيات تمامها: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فأفرد الامتنان عليَّ بفاتحة الكتاب، وجعلها بإزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش، وإن الله عزّ وجلّ خص محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وشرّفه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام فإنه أعطاه منها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله

الطيبين، منقاداً لأمرهما، مؤمناً بظاهرهما وباطنهما، أعطاه الله بكل حرف منها حسنة، كل واحدة أفضل له من الدنيا وما فيها من أصناف أموالها وخيراتها، ومن استمع إلى قارىء يقرؤها كان له بقدر ما للقارئ فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرَّض لكم، فإنه غنيمة لا يذهبن أوانه، فتبقى قلوبكم في الحسرة».

البحار ج٩٢: ٢٢٧، تفسير نور الثقلين ج١: ٥.

أحاديث «أم الكتاب»

روى العياشي في تفسيره ج١: ١٩: بأسانيد عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطايني عن أبيه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : اسم الله الأعظم مقطَّع في «ام الكتاب».

وذكره البحراني في تفسيره البرهان ج١: ٤١.

وعن عبد الملك بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن إبليس رن أربع رنات: أولهن يوم لُعن، وحين هبط إلى الأرض، وحين بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم على فترة من الرسل، وحين أُنزلت «أُمُّ الكتاب» الحمد لله رب العالمين، ونخر نخرتين: حين أكل آدم عليه السلام من الشجرة، وحين أُهبط إلى الأرض قال: ولعن من فعل ذلك.

تفسير العياشي ج١: ٢٠، البرهان ج١: ٤٢، نور الثقلين ج١: ص٣.

وذكره القرطبي في تفسيره ج١: ١٠٩، عن ابن الأنباري بسنده عن مجاهد.

وروى الصدوق رحمه الله في «ثواب الأعمال» ص١٣٠ قال: أبي رحمه الله قال: حدّثني محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن حسان، عن إسماعيل بن مهران، قال: حدّثني الحسن بن علي بن أبي حمزة البطايني، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : اسم الله الأعظم

مقطَّع في أمّ الكتاب.

وروى العياشي في تفسيره ج١: ٢٠، عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبيﷺ قال: قال رسول اللهﷺ لجابر بن عبدالله: ياجابر ألا اعلِّمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه؟ قال: فقال جابر: بلى بأبي أنت وأمي يا رسول الله علِّمنيها، قال: فعلَّمه الحمدُ لله «أم الكتاب» قال: ثم قال له: ياجابر، ألا أخبرك عنها؟ قال: بلى، بأبي أنت وأمي فأخبرني، قال: هي شفاء من كل داء إلا السام، يعني الموت.

وذُكر هذا الحديث في البحار ج٩٢: ٢٣٧، وفي وسائل الشيعة ج٤: ٨٧٤، والبرهان ج١: ٤٢، ومجمع البيان ج١: ١٧ـ ١٨.

وروى عليٌّ بن إبراهيم القمي في تفسيره ج١: ٢٩، قال: وحدَّثني أبي عن الحسين بن علي بن فضال، عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله قال: إنَّ إبليس أنَّ أنيناً لمَّا بعث الله نبيَّهﷺ على حين فترة من الرسل، وحين أُنزلت «أُمُّ الكتاب».

أحاديث «أم القرآن»

في دعوات الراوندي، عن أبي الحسن موسى بن جعفرعليه السلام قال: سمع بعض آبائيعليهم السلام رجلاً يقرأ «أم القرآن» فقال: شكر وأجر، ثم سمعه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: آمن وأمن، ثم سمعه يقرأ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ فقال: صدق وغُفِر له، ثم سمعه يقرأ آية الكرسي فقال: بخ بخ، نزلت براءة هذا من النار[1].

وعن أُبيٍّ بن كعب أنه قال: قرأت على رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب فقال: والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوارة، والإنجيل ولا في الزبور، ولا في القرآن مثلها، هي «أمُّ القرآن» وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله، وبين عبده، ولعبده ما سأل[2].

وعن محمد بن أحمد بن يحيى، عن الحسين بن موسى الخشاب، عن غياث بن كلّوب، عن إسحاق بن عمار، عن جعفر، عن أبيهعليهما السلام: أن رجلين من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم اختلفا في صلاة رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فكتبا إلى أُبيٍّ بن كعب كم كانت لرسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم من سكتة؟ فقال: كانت له سكتتان، إذا فرغ من «أم القرآن» وإذا فرغ من السورة.

---

(١) البحار ج٩٢: ٢٦١.
(٢) البحار ج٩٢: ٢٥٩.

تهذيب الأحكام ج٨: ١٩٠، نور الثقلين ج١: ٢١.

وروى الشيخ الطوسي رحمه الله في التبيان ج١: ٢٢، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه سماها «أم القرآن».

وفي «وسائل الشيعة» ج٢: ٧٦٨، عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل نسي «أم القرآن» قال: إن كان لم يركع فليعد «أُمّ القرآن».

وأخرج القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» ج١: ص١٠٨ عن الترمذي، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل مثل «أم القرآن»، وهي السبع المثاني، وهي مقسومة بين الله وبين عبده، ولعبده ما سأل.

التعليقة ٥

تفسير سورة الفاتحة في حديث الإمام العسكري (عليه السلام)

استدل شيخنا الوالد طاب ثراه في عدة موارد بما أُثر عن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في تفسير سورة الفاتحة. ولِمَا في غضون ذلك من فوائد جمَّة. آثرنا درج هذا الحديث بنصه وفصه.

قال عليه السلام :

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

ٱللَّهِ: هو الذي يتَألَّه إليه عند الحوائج والشدائد كلُّ مخلوق، وعند انقطاع الرجاء من كل من هو دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه فيقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي أستعين على أموري كلِّها بالله الذي لاتحق العبادة إلاَّ له، المغيث إذا استُغيث، والمجيب إذا دعي.

قال الإمام عليه السلام : وهو ما قال رجل للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله دُلّني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون عليَّ وحيّروني. فقال الإمام عليه السلام : يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، فقال: هل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: بلى، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق عليه السلام : فذلك الشيء هوالله القادر على

الإنجاء حين لا منجي، وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

وقال الصادق عليه السلام: ولربما ترك في افتتاح أمر بعض شيعتنا ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فيمتحنه (فامتحنه) الله بمكروه لينبهه على شكر الله والثناء عليه، ويمحو عنه فيه وصمة تقصيره عند تركه قول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾. ولقد دخل عبدالله بن يحيى على أمير المؤمنين وبين يديه كرسي فأمره بالجلوس عليه فمال به حتى سقط على رأسه فأوضح عن عظم رأسه وسال الدم، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بماء فغسل عنه ذلك الدم ثم قال: أدن مني، فدنا منه فوضع يده على موضحته وقد كان يجد من ألمها مالا صبر معه، ومسح يده عليها وتفل فيها فما هو إلاّ أن فعل ذلك حتى اندمل وصار كأنه لم يصبه شيء قط.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ياعبدالله الحمدلله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم، لتسلم لهم طاعتهم، ويستحقوا عليها ثوابها بها.

فقال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وإنا لا نجازى بذنوبنا إلا في الدنيا؟ قال: نعم، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، إن الله يطهّر شيعتنا من ذنوبهم في الدنيا بما يبتليهم من المحن، وبما يغفر لهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[1].

حتى إذا وردوا القيامة، توفرت عليهم طاعاتهم وعباداتهم، وإن أعداء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأعداءنا يجازيهم على طاعة تكون منهم في الدنيا وإن كان لا وزن لها، لأنه لاإخلاص معها، حتى إذا وافوا القيامة حملت عليهم ذنوبهم وبغضهم لمحمد وآله وخيار أصحابه فقذفوا لذلك في النار.

---

(١) سورة الشورى / الآية ٣٠/.

ولقد سمعت محمداً ﷺ يقول: إنه كان فيما مضى قبلكم رجلان أحدهما مطيع مؤمن لله، والآخر كافر به مجاهر بعداوة أوليائه وموالاة أعدائه ولكل واحد منهما مُلك عظيم في قطر من الأرض، فمرض الكافر فاشتهى سمكة في غير أوانه لأن ذلك الصنف من السمك كان في ذلك الوقت في اللجج حيث لا يُقدر عليه فآيسه الأطباء من نفسه وقالوا: اسْتخلِف على ملكك من يقوم به فلست بأخلد من أصحاب القبور، فإن شفاءك في هذه السمكة التي اشتهيتها ولا سبيل إليها، فبعث الله ملكاً وأمره أن يزعج تلك السمكة إلى حيث يسهل أخذها، فأُخذت له، فأكلها فبرأ من مرضه وبقي في ملكه سنين بعدها.

ثم إن ذلك (الملك) المؤمن مرض في وقت كان جنس ذلك السمك بعينه لايفارق الشطوط التي يسهل أخذه منها مثل علة الكافر، فاشتهى تلك السمكة، ووصفها له الأطباء وقالوا: طب نفساً فهذا أوانه تؤخذ لك فتأكل منها وتبرأ، فبعث الله ذلك الملك وأمره أن يزعج جنس تلك السمكة عن الشطوط إلى اللجج لئلا يقدر عليها، فلم يوجد حتى مات المؤمن من شهوته وبُعْد دوائه.

فعجب من ذلك ملائكة السماء وأهل ذلك البلد في الأرض حتى كادوا يفتنون لأن الله تعالى سهّل على الكافر مالا سبيل إليه، وعسّر على المؤمن ما كان السبيل إليه سهلاً، فأوحى الله إلى ملائكة السماء وإلى نبي ذلك الزمان في الأرض، إني أنا الله الكريم المتفضل القادر، لا يضرني ما أُعطي، ولا يُنقصني ما أمنع، ولا أظلم أحداً مثقال ذرة، فأما الكافر فإنما سهَّلتُ له أخذ السمكة في غير أوانها، ليكون جزاء على حسنة كان عملها، إذ كان حقاً علي ألا أُبطل لأحد حسنة، حتى يرد القيامة ولا حسنة في صحيفته، ويدخل النار بكفره، ومنعت العابد تلك السمكة

بعينها، لخطيئة كانت منه فأردت تمحيصها عنه بمنع تلك الشهوة، وإعدام ذلك الدواء، وليأتيني ولاذنب عليه فيدخل الجنة.

فقال عبدالله بن يحيى: ياأمير المؤمنين قد أفدتني وعلَّمتني، فإن (رأيت) أردت أن تعرِّفني ذنبي الذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله، قال: تركك حين جلست أن تقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فجعل الله ذلك لسهوك عمَّا ندبت إليه تمحيصاً بما أصابك، أما علمت أن رسول الله ﷺ حدّثني عن الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قال: كل أمر ذي بال لم يذكر فيه ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ فهو أبتر؟ فقلت: بلى بأبي أنت وأمي لا أتركها بعدها، قال: إذاً تحظى بذلك وتسعد.

ثم قال عبدالله بن يحيى: يا أمير المؤمنين، وما تفسير:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قال؟ إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي بهذا الاسم أعمل هذا العمل، فكل عمل يعمله يبتدئ فيه بـ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنه يُبارك له فيه.

قال محمد بن علي الباقر عليه السلام : دخل محمد بن علي بن مسلم بن شهاب الزهري على علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وهو كئيب حزين فقال له زين العابدين عليه السلام : ما بالك مهموماً مغموماً؟ قال: يا ابن رسول الله! هموم وغموم تتوالى عليَّ لما امتحنت به من جهة حُسَّاد نعمتي والطامعين فيَّ، وممن أرجوه، وممَّن قد أحسنت إليه فيختلف ظني فقال له عليُّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: احفظ عليك لسانك تملك به إخوانك.

قال الزهري: يا بن رسول الله! إني أحسن إليهم بما يبدر من كلامي، قال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات، هيهات، إياك وأن تعجب من

نفسك بذلك، وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكراً يمكنك لأن توسعه عذراً.

ثم قال: يا زهري، من لم يكن عقله من أكمل ما فيه، كان هلاكه من أيسر ما فيه.

ثم قال: يازهري، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك، وتجعل صغيرهم بمنزلة ولدك، وتجعل تربك منهم بمنزلة أخيك، فأي هؤلاء تحب أن تظلم؟ وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه، وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره، وإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة، فانظر إن كان أكبر منك، فقل: قد سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير مني، وإن كان أصغر منك، فقل: سبقته بالمعاصي والذنوب فهو خير مني، وإن كان تربك فقل: أنا على يقين من ذنبي، في شكٍّ من أمره، فمالي أدع يقيني بشكي، وإن رأيت المسلمين يعظمونك ويوقِّرونك ويبجلونك فقل: هذا فضل أُخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء وانقباضاً عنك فقل: هذا لذنب أحدثتُه، فإنك إن فعلت ذلك، سهَّل الله عليك عيشك، وكَثُر أصدقاؤك وقلَّ أعداؤك، وفرحتَ بما يكون من بِرِّهم، ولم تأسف على ما يكون من جفائهم.

واعلم أن أكرم الناس على الناس من كان خيره فائضاً عليهم، وكان عنهم مستغنياً متعفِّفاً، وأكرم الناس بعده عليهم من كان عنهم متعففاً وإن كان إليهم محتاجاً، فإنما أهل الدنيا يعشقون أموال الدنيا، فمن لم يزاحمهم فيما يعشقونه كرم عليهم، ومن لم يزاحمهم فيها ومكَّنهم منها ومن بعضها، كان أعزَّ عليهم وأكرم.

قال(عليه السلام): ثم قام إليه رجل وقال: يا ابن رسول الله أخبرني ما معنى:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

فقال علي بن الحسين عليه السلام: حدّثني أبي، عن أخيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام

أن رجلاً قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ما معناه؟ فقال: إن قولك: ﴿ٱللَّهِ﴾ أعظم الأسماء من أسماء الله تعالى، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يتسمَّى به غير الله، ولم يتسمَّ به مخلوق، فقال الرجل: فما تفسير قوله:

﴿ٱللَّهِ﴾ قال: هو الذي إليه يَتَألَّهُ عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، ويقطع الأسباب من كل من سواه، وذلك أن كل مترئِّس في الدنيا أو متعظِّم فيها، وإن عظم غناه وطغيانه، وكثرت حوائج من دونه إليه، فإنهم سيحتاجون حوائج لايقدر عليها هذا المتعاظم، كذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته، حتى إذا كُفي همَّه، عاد إلى شركه.

أما تسمع الله عزّ وجلّ يقول: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾[1] فقال الله تعالى لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي! إني قد ألزمتكم الحاجة إليَّ في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، إليَّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فإني إذا أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم، وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم فأنا أحقُّ من سُئل، وأولى من تُضُرِّعَ إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا تحق العبادة

---

(١) سورة الأنعام / الآية ٤٠-٤١.

لغيره، المغيث إذا استُغيث والمجيب إذا دُعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا ودنيانا وآخرتنا، خفَّف الله علينا الدِّين وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتميّزنا عن أعدائه.

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحزنه أمر تعاطاه فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهو يخلص لله، ويقبل عليه بقلبه إليه، لم ينفكَّ عن إحدى اثنتين، إما بلوغ حاجته الدنيوية، وإما ما يُعِدُّ له عنده ويدَّخِره لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين.

وقال الحسن بن علي عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: وإنَّ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات تمامها بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن الله عز وجل قال لي: يا محمد : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[1] فأفرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب، وجعلها بأزاء القرآن العظيم، وإن فاتحة الكتاب أعظم وأشرف ما في كنوز العرش، وإن الله خصَّ بها محمداً وشرَّفه ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه مما خلا سليمان فإنه أعطاه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. ألا تراه أنه يحكي عن بلقيس حين قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[2].

ألا فمن قرأها معتقداً لموالاة محمد وآله الطيبين، منقاداً لأمرهم، مؤمناً بظاهرهم وباطنهم، أعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل حسنة منها أفضل من الدنيا ومافيها، من أصناف أموالها وخيراتها ومن استمع قارئاً يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارئ، فليستكثر أحدكم من هذا

(١) سورة الحجر / الآية ٨٧/ .

(٢) سورة النمل / الآية ٢٩-٣٠/ .

الخير المعرَّض لكم، فإنه غنيمة لكم فلا يذهبنَّ أوانه، فتبقى في قلوبكم الحسرة.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ : جاء رجل إلى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا بن رسول الله أخبرني عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ما تفسيره؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : لقد حدّثني أبي، عن جدي، عن الباقر، عن أبيه زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ما تفسيره؟ فقال:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هو أن عرَّف الله عباده بعض نعمه عليهم جملاً، إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل، لأنها أكثر من أن تحصى أو تعرف فقال لهم: قولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعني مالك العالمين، وهم الجماعات من كل مخلوق، من الجمادات والحيوانات.

فأما الحيوانات، فهو يقلِّبها في قدرته، ويغذوها من رزقه، ويحيطها بكنفه، ويدبر كلا منها بمصلحته.

وأما الجمادات، فهو يمسكها بقدرته، يمسك ما اتَّصل المتَّصِل منها أن يتهافت، ويمسك المتهافت منها أن يتلاصق، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويمسك الأرض أن تنخسف إلا بأمره إنه بعباده لرؤوف رحيم.

قال: و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ مالكهم وخالقهم وسائق أرزاقهم إليهم، من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون، فالرزق معلوم مقسوم، وهو يأتي ابن آدم على أيِّ سيرة سارها من الدنيا، ليس تقوى متَّقٍ بزائده ولا

فجور فاجر بناقصه، وبينه وبينه شبر(ستر) وهو طالبه، ولو أنَّ أحدكم يترَّبص رزقه لطلبه رزقه، كما يطلبه الموت.

قال: أمير المؤمنين فقال الله تعالى لهم: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما أنعم به علينا وذكَّرنا به من خير في كتب الأولين من قبل أن نكون.

ففي هذا إيجاب على محمد وآل محمد لما فضَّله وفضَّلهم، وعلى شيعتهم أن يشكروه بما فضَّلهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: لما بعث الله موسى بن عمران واصطفاه نجياً، وفلق البحر فنجَّى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربِّه عَزَّوَجَلَّ فقال: ياربِّ لقد كرَّمتني بكرامة لم تكرِّم بها أحداً قبلي، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ياموسى أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي.

قال موسى: يارب فإن كان محمد أفضل عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء عندك أكرم من آلي؟.

قال الله تعالى: يا موسى أما علمت أن فضل آل محمد على جميع آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين؟.فقال: يارب فإن كان فضل آل محمد عندك كذلك، فهل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟.

قال الله: ياموسى أما علمت أن فضل صحابة محمد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين وكفضل محمد على جميع المرسلين.

فقال موسى: يارب فإن كان محمد وآله وأصحابه كما وصفت، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمتي؟ ظلَّلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى، وفلقت لهم البحر؟

فقال الله تعالى: ياموسى أما علمت أن فضل أمَّة محمد على جميع

الأمم كفضلي على جميع خلقي؟

قال موسى: يارب ليتني كنت أراهم.

فاوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه: يا موسى إنك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنة، جنات عدن والفردوس، بحضرة محمد، في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتبجّحون، أفتحبُّ أن أُسمعك كلامهم؟ فقال: نعم يارب، قال: قم بين يديَّ، واشدد مئزرك قيامَ العبد الذليل بين يدي السيد المالك الجليل، ففعل ذلك، فنادى ربنا عَزَّوَجَلَّ: ياأمة محمد، فأجابوه كلهم، -وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم-: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة والملك لك لاشريك لك لبيك» قال: فجعل الله تعالى الإجابة منهم شعار الحج.

ثم نادى ربّنا عَزَّوَجَلَّ ياأمة محمد إن قضائي عليكم، أنَّ رحمتي سبقت غضبي، وعفوي سبق عقابي، فقد استجبتُ لكم من قبل أن تدعوني وأعطيتكم من قبل أن تسألوني، من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله، محق في أفعاله، وأن عليَّ بن أبي طالب أخوه ووصيُّه من بعده ووليُّه، يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وأن أولياءه المصطفين الأخيار المطهرين اللابسين بعجائب آيات الله، ودلائل حجج الله، من بعدهما أولياؤه أُدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلمَّا بُعث نبُّينا محمدﷺ قال الله تعالى: يا محمد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك بهذه الكرامة، ولكن رحمة من ربك، ثم قال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمدﷺ: قل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على ما خصني به من هذه الفضيلة. وقال لأمته: وقولوا أنتم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

على ما اختصَّنا به من هذا الفضل.

قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق، لا يقطع عنهم مواد رزقه، وإن انقطعوا عن طاعته ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بعباده المؤمنين، في تخفيفه عليهم طاعاته، وبعباده الكافرين في الرفق بهم في دعائهم إلى موافقته.

قال أمير المؤمنين: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ هو العاطف على خلقه بالرزق قال: ومن رحمته أنه لما سلب الطفل قوة النهوض والتغذي، فجعل تلك القوة في أمة، ورفَّقها عليه لتقوم بتربيته، وحضانته، فإن قسا قلب أمٍّ من الأمهات أوجب تربية هذا الطفل وحضانته على سائر المؤمنين، ولما سلب بعض الحيوانات قوة التربية لأولادها، والقيام بمصالحها، جعل تلك القوة في الأولاد لتنهض حين تولد، وتسير إلى رزقها المسبَّب لها.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : وتفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أن قوله: الرحمن مشتق من(الرحمة) الرحم، سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ: أنا الرحمن وهي الرحم، شققت لها اسماً من اسمي، مَن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ثم قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ : أو تدري ما هذه الرحم التي من وصلها وصله الرحمن، ومن قطعها قطعه الرحمن؟ فقيل: ياأمير المؤمنين حثَّ بهذا كل قوم أن يكرموا أقرباءهم، ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أيحثُّهم على أن يوصلوا أرحامهم الكافرين، وأن يعظِّموا من حقَّره الله، وأوجب احتقاره من الكافرين؟ قالوا: لا، ولكنه حثهم على صلة أرحامهم المؤمنين.

قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم، لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم؟ قلت: بلى يا أخا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: فهم إذاً إنما يقضون فيهم حقوق

الآباء والأمهات قلت: بلى يا أخا رسول الله، قال: وآباؤهم وأمهاتهم إنما غذوهم في الدنيا ووقوهم مكارهها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة لا تنقضي، ووقاهم مكروهاً مؤبداً لايبيد، فأي النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله ﷺ أجل وأعظم وأكبر، قال: فكيف يجوز أن يحث على قضاء حق من صغَّر الله حقه، ولا يحث على قضاء حق من كبَّر الله حقه، قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذاً حقُّ رسول الله ﷺ أعظم من حق الوالدين، وحق رحمه أيضاً أعظم من حق رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أيضاً أعظم وأحق من رحمهما، فرحم رسول الله ﷺ أولى بالصلة وأعظم في القطيعة.

فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظِّم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رحم رسول الله ﷺ حرمة رسول الله ﷺ، وأن حرمة رسول الله ﷺ حرمة الله، وإنَّ الله أعظم حقاً من كل منعم سواه، فإنَّ كل منعم سواه إنما أنعم حيث قيَّضه لذلك ربُّه ووفقه له.

أما علمت ما قال الله لموسى بن عمران؟ قلت: بأبي أنت وأمي ما الذي قال له؟ قال: قال الله تعالى ياموسى: أتدري ما بلغت رحمتي إياك فقال موسى: أنت أرحم بي من أبي وأمي، قال الله: يا موسى وإنما رحمتك أمك لفضل رحمتي، فأنا الذي رفقتها عليك، وطيَّبت قلبها لتترك طيب وسنها لتربيتك، ولو لم أفعل ذلك بها لكانت وسائر النساء سواء، ياموسى أتدري أن عبداً من عبادي مؤمناً يكون له ذنوب وخطايا تبلغ أعنان السماء فأغفرها له، ولا أبالي.

قال: ياربِّ وكيف لا تبالي؟ قال تعالى: لخصلة شريفة تكون في عبدي أُحبُّها، وهو أن يحب إخوانه الفقراء المؤمنين، ويتعاهدهم، ويساوي نفسه بهم، ولا يتكبر عليهم، فإذا فعل ذلك غفرت له ذنوبه،

ولا أبالي.

ياموسى إن الفخر(العظمة) ردائي، والكبرياء إزاري، فمن نازعني في شيء منهما عذَّبته بناري.

يا موسى إن من إعظام جلالي إكرام عبدي الذي أنلته حظاً من حطام الدنيا، عبداً من عبادي مؤمناً، قصرت يده في الدنيا، فإن تكبر عليه فقد استخف بعظم جلالي.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الرحم التي اشتقَّها الله من رحمته بقوله: أنا ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هي رحم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ من إعظام الله إعظام محمد، وإن من إعظام محمد إعظام رحم محمد، وإن كل مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمد، وإن إعظامهم من إعظام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالويل لمن استخف بشيء من حرمة محمد، وطوبى لمن عظَّم حرمته، وأكرم رحمه، ووصلها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾

قال الإمام عليه السلام : وأما قوله الرحيم معناه أنه رحيم بعباده المؤمنين ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلِّهم، بها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة، أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسعة وتسعين رحمة، فيرحم بها أمة محمد، ثم يشفِّعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة، حتى أن الواحد ليجيء إلى مؤمن من الشيعة فيقول: اشفع لي فيقول وأي حق لك عليَّ؟ فيقول: سقيتك يوماً ماء فيذكر ذلك له، فيشفع له فيشفّع فيه، ويجيئ آخر فيقول: إن لي عليك حقاً فاشفع لي، فيقول: وما حقك عليَّ؟ فيقول: استظللتَ بظل جداري ساعة في يوم حار فيُشفَّع له فيشفع فيه، ولا يزال يُشفَّع

حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه، فإنَّ المؤمن أكرم على الله ممّا تظنون.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾

قال الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ : قادر على إقامة يوم الدين، وهو يوم الحساب، قادر على تقديمه عن وقته، وتأخيره بعد وقته، وهو المالك أيضاً في يوم الدين، فهو يقضي بالحق لا يملك الحكم والقضاء في ذلك اليوم من يظلم ويجور، كما يجور في الدنيا من يملك الأحكام.

قال: وقال: أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ هو يوم الحساب، وقال: سمعت رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: ألا أخبركم بأكيس الكيِّسين وأحمق الحمقى؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أكيس الكيِّسين من حاسب نفسه، وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقى من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني.

فقال الرجل: ياأمير المؤمنين، وكيف يحاسب الرجل نفسه، قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه وقال: يانفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله تعالى يسألك عنه فيما أفنيتيه، فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حوائج مؤمن؟ أنفّست عنه كربته؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلِّفيه؟ أكففتِ عن غيبة أخٍ مؤمن بفضل جاهك؟ أأعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه.

فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله عَزَّوَجَلَّ، وكبَّره على توفيقه وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله عَزَّوَجَلَّ وعزم على ترك معاودته، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصلاة على محمد وآله الطيبين، وعرض بيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه على نفسه وقبوله لها، وإعادة لعن شانئيه

وأعدائه ودافعيه عن حقوقه، فإذا فعل ذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: لست أناقشك في شيء من الذنوب مع موالاتك أوليائي، ومعاداتك أعدائي.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله تعالى: قولوا ياأيها الخلق المُنعَم عليهم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أيها المنُعِم علينا، نطيعك مخلصين مع التذلل والخضوع، بلا رياء ولا سمعة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منك نسأل المعونة على طاعتك لنؤديها كما أمرت، ونتّقي مِن دنيانا ما عنه نهيت، ونعتصم من الشيطان الرجيم، ومن سائر مردة الجن والإنس من المُضلّين، ومن المؤذين الظالمين، بعصمتك.

قال وسئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ : من العظيم الشقاء؟

قال: رجل ترك الدنيا للدنيا، ففاتته الدنيا وخسر الآخرة، ورجل تعبَّد واجتهد وصام رئاء الناس، فذلك الذي حرم لذَّات الدنيا، ولحقه التعب الذي لو كان به مخلصاً لا ستحق ثوابه، فورد الآخرة وهو يظن أنه قد عمل ما يثقّل به ميزانه فيجده هباءً منثوراً.

قيل: فمن أعظم الناس حسرة؟

قال: من رأى ماله في ميزان غيره، فأدخله الله به النار وأدخل وارثه به الجنة.

قيل: فكيف يكون هذا؟

قال: كما حدّثني بعض اخواننا عن رجل دخل إليه وهو يسوق فقال له: يا أبا فلان ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق؟ قال: ما أدّيت منها، زكاةً قط، ولا وصلتُ منها رحماً قط، قال: فقلت: فعلامَ جمعتها؟ قال: لجفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة، وتخوُّف الفقر على العيال، ولروعة الزمان، قال: ثم لم يخرج من عنده حتى فاضت نفسه.

ثم قال علي عليه السلام : الحمد لله الذي أخرجه منها مَلوماً مُلِيماً بباطل جمعها، وفي حق منعها، جمعها فأوعاها، وشدَّها فأوكاها، قطع فيها المفاوز والقفار، ولجج البحار، أيها الواقف لاتُخدع كما خُدع صويحبك بالأمس، إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى ماله في ميزان غيره، أدخل الله عز وجل هذا به الجنة، وأدخل هذا به النار.

قال الصادق عليه السلام : وأعظم من هذا حسرة يوم القيامة، رجل جمع مالاً عظيماً بكدٍّ شديد، ومباشرة الأهوال، وتعرُّض الأخطار، ثم أفنى ماله في صدقات ومبرّات، وأفنى شبابه وقوّته في عبادات وصلوات وهو مع ذلك لا يرى لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام حقَّه، ولا يعرف له في الإسلام محلَّه، ويرى أنَّ من لا يعشره ولا يعشر عشير معشاره أفضل منه عليه السلام ، ويقف على الحجج فلا يتأملها، ويُحتجّ عليه بالآيات والأخبار فيأبى إلا تمادياً في غيه، فذاك أعظم من كل حسرة، يأتي يوم القيامة وصدقاته ممثلة له في مثال الأفاعي تنهشه، وصلواته وعباداته ممثَّلة له في مثل الزبانية تتبعه، حتى تدعَّه إلى جهنم دعّاً.

يقول: ياويلي! ألم أَكُ من المصلِّين؟ ألم أَكُ من المزكِّين؟ ألم أَكُ عن أموال الناس ونسائهم من المتعِّففين؟ فلماذا دُهيت بما دُهيت؟ فيقال له: يا شقيُّ ما نفعَك ماعملتَ، وقد ضيَّعتَ أعظم الفروض بعد توحيد الله تعالى، والإيمان بنبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيَّعت مالزمك من معرفة حق عليٍّ وليِّ الله، والتزمتَ ماحرَّم الله عليك من الائتمام بعدوِّ الله، فلوكان لك بدل أعمالك هذه عبادة الدهر من أوله إلى آخره، وبدل صدقاتك، الصدقة بكلِّ أموال الدنيا بل بملء الأرض ذهباً، لما زادك ذلك من رحمة الله تعالى إلا بُعداً، ومن سخط الله عز وجل إلا قرباً

قال الإمام الحسن عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قال

رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: قولوا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على طاعتك وعبادتك، وعلى دفع شرور أعدائك، ورد مكائدهم، والمقام على ما أمرتنا به.

وقال ﷺ: عن جبرئيل، عن الله عَزَّوَجَلَّ: ياعبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه، فاسألوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألوني الغنى أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من غفرته فاسألوني المغفرة أغفر لكم، ومن علم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي، غفرت له ولا أبالي، ولو أن أولكم وآخركم، وحيَّكم وميَّتكم، ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إنقاءِ قلبِ عبدٍ من عبادي لم يزيدوا في ملكي جناح بعوضة، ولو أنَّ أوَّلكم وآخركم وحيَّكم وميَّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على إشقاء قلب عبد من عبادي لم ينقصوا من ملكي جناح بعوضة، ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فتمنَّى كلُّ واحد منهم ما بلغت أمنيته فأعطيته لم يتبين ذلك في ملكي، كما لو أنَّ أحدكم مرَّ على شفير البحر فغمس فيه إبرة ثم انتزعها، وذلك بأني جواد ماجد واجد، عطائي كلام، وعذابي كلام، فإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون.

ياعبادي اعملوا أفضل الطاعات وأعظمها لأسامحكم وإن قصَّرتم فيما سواها، واتركوا أعظم المعاصي وأقبحها لئلا أناقشكم في ركوب ماعداها، إن أعظم الطاعات توحيدي، وتصديق نبيِّ، والتسليم لمن نصبه بعده، وهو عليّ بن أبي طالب والأئمة الطاهرين من نسله صلوات الله عليهم، وإن أعظم المعاصي عندي الكفر بي وبنبيِّ، ومنابذة وليِّ محمدٍ بعده عليِّ بن أبي طالب وأوليائه بعده.

فان أردتم أن تكونوا عندي في المنظر الأعلى، والشرف الأشرف فلا

يكونَنَّ أحد من عبادي آثر عندكم من محمد، وبعده من أخيه علي، وبعدهما من أبنائهما القائمين بأمور عبادي بعدهما، فإن من كان ذلك عقيدته جعلتُه من أشرف ملوك جناني.

واعلموا أن أبغض الخلق إليَّ من تمثل بي وادعى ربوبيتي، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثل بمحمد ونازعه نبوته وادَّعاها، وأبغضهم إليَّ بعده من تمثل بوصيّ محمد ونازعه محلَّه وشرفه وادَّعاهما، وأبغضهم إليَّ بعد هؤلاء المدَّعين لمَا هُمْ به لسخطي متعرّضون، من كان لهم على ذلك مِنَ المعاوِنين، وأبغضُ الخلق إليَّ بعد هؤلاء من كان بفعلهم من الراضين، وإن لم يكن لهم من المعاونين.

وكذلك أحب الخلق إليَّ القوَّامون بحقي، وأفضلهم لديَّ، وأكرمهم عليَّ محمَّد سيِّد الورى، وأكرمهم وأفضلهم بعده عليّ أخو المصطفى عليّ المرتضى، ثم بعده من القوّامين بالقسط من أئمة الحق، وأفضل الناس بعدهم من أعانهم على حقهم، وأحب الخلق إلي بعدهم مَن أحبهم وأبغض أعداءهم، وإن لم يمكنه معونتهم.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾

قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نقول: أَدِمْ لنا توفيقك الذي أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا.

والصراط المستقيم، هو صِرَاطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمَّا الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.

وقال جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ : قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نقول: أرشدنا للصراط المستقيم، أي للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلِّغ إلى جنتك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك.

ثم قال: فإن من اتَّبع هواه، وأعجب برأيه كان كرجل سمعتُ غثاء العامة تعظِّمه وتصفه، فأحببتُ لقاءه من حيث لا يعرفني، لأنظر مقداره ومحله، فرأيته في موضع قد أحدق له خلق من غثاء العامة فوقفت مستتراً عنهم، متغشِّياً بلثام شقيقه أنظر إليه وإليهم فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم ففارقهم ولم يعده، فتفرقت العامة لحوائجهم، واتَّبعتُه أقتفي أثره فلم يلبث أن مرَّ بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معامِله، ثم مر بعده بصاحب رمّان فما زال به حتى تغفَّله فأخذ من عنده حاجته إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع إليه الرغيفين والرّمانين بين يديه ومضى وتبعته، حتى استقر في تبعة من صحراء، فقلت له: ياعبدالله لقد سمعت بك خيراً، وأحببت لقاءك فلقيتك، لكنّي رأيت منك ما شغل قلبي، وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي، قال: ما هو؟ قلت: رأيتك مررت بخباز فسرقت منه رغيفين، ثم مررت بصاحب الرمان فسرقت منه رمانين، قال: فقال لي قبل كل شيء، من أنت؟ قلت له رجل من ولد آدم، من أمة محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: لي ممن أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: اين بلدك؟ قلت: المدينة، قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب؟ قلت: بلى، قال لي: فما ينفعك شرف جدّك، وأصلك، مع جهلك بما شرفت به، وتركك علم جدك وأبيك، لئلا تنكر ما يجب أن تحمد، وتمدح فاعله، قلت: وماهو؟ قال: القرآن كتاب الله، قلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول

الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(1). وإني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه اربع سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة أربع حسنات بأربع سيئات بقي لي ست وثلاثون حسنة، قلت: ثكلتك أمك، أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(2) إنك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت رمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتهما إلى غير صاحبهما بغير أمر صاحبهما كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحظني، فتركته وانصرفت.

قال الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يَضلُّون ويُضلُّون، وهذا تأويل معاوية عليه ما يستحق، لمّا قتل عمّار بن ياسر ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ فارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عمّار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاوية، وقال: ياأمير المؤمنين، قد هاج الناس واضطربوا، قال: ولماذا؟ قال: لقتل عمار ابن ياسر، أليس قد قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عمار تقلته الفئة الباغية؟ فقال له معاوية: رخصت في قولك، أنحن قلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لمّا ألقاه بين رماحنا، فاتصل ذلك بعلي فقال: فإذاً رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الذي قتل حمزة لمّا ألقاه بين رماح المشركين.

ثم قال الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : طوبى للذين هم كما قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين،

---

(١) سورة الأنعام/ الآية١٦٠/ .

(٢) سورة المائدة/ الآية٢٧/ .

وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

فقال له رجل: يابن رسول الله! إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم، واللعن عليهم، فكيف حالي؟

فقال له الصادق عليه السلام : حدّثني أبي، عن أبيه عن جده عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، ولعن في خلواته أعداءنا، بلَّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه، ولعنوا من يلعنه، ثم ثنوه فقالوا: اللهمَّ صلِّ على عبدك هذا، الذي قد بذل مافي وسعه ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ: قد أحببت دعاءكم، وسمعت نداءكم، وصليت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾

قال الإمام عليه السلام : ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي قولوا: اهْدِنَا صِّرَاطَ الذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق لدينك وطاعتك، وهم الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1].

وحكي هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام : قال: ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن، وإن كان كلُّ هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفاراً أوفساقاً؟ فما نُدبتم بأن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنما أمرتم بالدعاء لأن ترشدوا إلى صراط الذين أنعم عليهم بالإيمان بالله، وتصديق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالولاية لمحمد وآله الطيبين، وأصحابه الخيّرين المنتجبين، وبالتقيّة الحسنة التي بها يُسلم

(١) سورة النساء/ الآية٦٩/ .

من شرِّ عباد الله، ومن شر الزنادقة في أيام أعداء الله بكفرهم بأن تداريهم ولا تغريهم بأذاك ولا أذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الأخوان من المؤمنين.

فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمداً وآل محمد وأصحاب محمد، وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصناً منيعاً، وجُنة حصينة، وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله بأحسن المداراة، ولم يدخل بها في باطل ولم يخرج بها من حق إلا جعل الله نفسَه تسبيحاً وزكّى عمله، وأعطاه بصيرة على كتمان سرنا، واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا وثواب المتشحِّط بدمه في سبيل الله.

وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه فوفَّاهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه، ورضي منهم بعفوهم، وترك الاستقصاء عليهم، فما يكون من زللهم غفرها لهم، إلا قال الله عزوجل له يوم القيامة: ياعبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والتكرم، فأنا أقضيك اليوم على حق وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا استقصي عليك في تقصيرك في بعض حقوقي، قال: فيلحقه محمَّداً وآله وأصحابه، ويجعله من خيار شيعتهم.

ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه ذات يوم: ياعبدالله أَحِب في الله، وأبغِضْ في الله، ووالِ في الله وعادِ في الله، فإنه لايُنال ولاية الله إلا بذلك، ولايجد أحد طعم الإيمان، وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاه الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادُّون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال الرجل: يارسول الله، وكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت

في الله، ومن ولي الله حتى أواليه؟ ومن عدوّ الله حتى أعاديه؟ فأشار له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أترى هذا؟ قال: بلى، قال: وليُّ هذا وليُّ الله فَوالِه، وعدوُّ هذا عدوُّ الله فعادِه، ووالِ وليَّ هذا ولو أنه قاتِلُ أبيك وولدِك، وعادِ عدوَّ هذا ولو أنه أبوك وولدك.

قوله عز وجل: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

قال أمير المؤمنين عليه السلام : أمر الله عباده أن يسألوه طريق المُنعَم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وأن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[1]. وأن يستعيذوا به عن طريق الضالين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[2] وهم النصارى.

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : كلُّ من كفر بالله فهو مغضوبٌ عليه وضالٌّ عن سبيل الله عز وجل.

وقال الرضا عليه السلام : كذلك، وزاد فيه: ومن تجاوز بأمير المؤمنين العبودية فهو من المغضوب عليهم ومن الضالِّين.

تفسير الإمام العسكري ص٩ـ٢٤ وذكره الشيخ المجلسي في البحار ج٩٢: ٢٤٠ـ٢٥٧، باختلاف يسير في اللفظ

(١) سورة المائدة/ الآية٦٠/ .

(٢) سورة المائدة/ الآية٧٧/ .

تفسير فاتحة الكتاب في كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى ملك الروم

من كتاب إرشاد القلوب فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى ملك الروم، حين سأله عن تفسير فاتحة الكتاب كتب إليه:

أما بعد، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، عالم الخفيّات، ومنزل البركات ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ﴾ ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾.

ورد كتابك وأقرأنيه عمر بن الخطاب، فأما سؤالك عن اسم ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى فإنّه اسم فيه شفاء من كل داء، وعون على كل دواء.

وأما ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ فهو عوذة لكلٍّ من آمن به، وهو اسم لم يُسمَّ به غير الرحمن تبارك وتعالى.

وأما ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فرحم من عصى وتاب، وآمن وعمل صالحاً.

وأما قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فذلك ثناء منّا على ربنا تبارك وتعالى بما أنعم علينا.

واما قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فإنه يملك نواصي الخلق يوم القيامة، وكلُّ من كان في الدنيا شاكّاً أو جباراً أدخله النار، ولا يمتنع من عذاب الله عزّ وجلّ شاكٌّ ولا جبار، وكل من كان في الدنيا طائعاً مديماً محافظاً إياه أدخله الجنة برحمته.

وأما قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإنَّا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً.

وأما قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنا نستعين بالله عَزَّوَجَلَّ على الشيطان الرجيم، لا يُضلُّنا كما أضلَّكم.

وأما قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فذلك الطريق الواضح، مَن عمل في الدنيا عملاً صالحاً فإنه يسلك على الصراط إلى الجنة.

وأما قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فتلك النعمة التي أنعمها الله عَزَّوَجَلَّ على من كان قبلنا من النبيين والصديقين، فنسأل الله ربنا أن ينعم علينا كما أنعم عليهم.

وأما قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فأولئك اليهود بدلوا نعمة الله كفراً، فغضب عليهم فجعل منهم القردة والخنازير، فنسأل الله تعالى أن لا يغضب علينا كما غضب عليهم.

وأما قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فأنت وأمثالك ياعابد «الصليب الخبيث» ضللتم من بعد عيسى بن مريم، فنسأل الله ربنا أن لايضلنا كما ضللتم[1].

(١) «البحار: ج٩٢: ٢٦٠-٢٦١»

التعليقة ٧

«الصراط المستقيم» هو أمير المؤمنين(عليه السلام)

استدل شيخنا الوالد ـ طاب ثراه ـ في بحثه بآيات ورد فيها: «الصراط المستقيم» وقال: «إن هذه الآيات وردت فيها أحاديث كثيرة بأن المراد من «الصراط المستقيم» فيها هو أمير المؤمنين عليه السلام :

ولبيان ذلك نورد هنا نزراً من تلكم الأحاديث المأثورة في هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[1]

أخرج ابن شهراشوب في «المناقب» ج٣: ٧٣، عن الباقرين عليهما السلام ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قالا: دين الله الذي نزل به جبرائيل على محمد: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فهديتهم بالإسلام، وبولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم تغضب عليهم ولم يضلُّوا: ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ اليهود والنصارى والشُكاك الذين لا يعرفون إمامة أمير المؤمنين، و﴿ الضَّالِّينَ ﴾ عن إمامة علي بن أبي طالب.

وذكر في ج٣: ٧٤، عن الحسن قال: خرج ابن مسعود فوعظ الناس

---

(١) سورة الفاتحة/ الآية٦/ .

فقام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن اين ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فقال: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ طرفه في الجنة وناحيته عند محمد وعلي، وحافتاه دعاة، فمن استقامت له الجادة أتى محمداً، ومن زاغ عن الجادة تبع الدعاة.

وروى الشيخ ابن بابويه في «معاني الأخبار» ص٣٢ قال:

حدّثنا أبي - رحمه الله - قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن علي بن الصلت، عن عبدالله بن الصلت، عن يونس بن عبد الرحمن، عمن ذكره، عن عبيد الله بن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ﴿الصراط المستقيم﴾ أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وعنه أيضاً قال: حدّثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هشام - رحمه الله - قال: حدّثنا أبي، عن جدي، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[1] وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله عز وجل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

وذكر شيخنا الوالد - رحمه الله - في كتاب«الغدير» ج٢: ٣١١ - ٣١٢، قال:

أخرج الثعلبي في «الكشف والبيان» في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال مسلم بن حيان: سمعت أبا بريدة يقول: صراط محمد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن السدي، عن أسباط ومجاهد، عن عبدالله بن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حب محمد وأهل بيته.

---

(١) سورة الزخرف/ الآية ٤ .

وأخرج الحموي في «الفرايد» بإسناده، عن أصبغ بن نباته، عن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[1] قال: الصراط ولايتنا أهل البيت.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما صراط الدنيا فهو علي بن أبي طالب، وأما صراط الآخرة فهو جسر جهنم، من عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة.

ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي كما في «الصواعق» ص١١١، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أثبتكم على الصراط أشدّكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي».

وأخرج شيخ الإسلام الحموي بإسناده في «فرايد السمطين» في حديث، عن الإمام جعفر الصادق قوله: نحن خيرة الله، ونحن الطريق الواضح و﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى الله.

فهم الصراط إلى الله، فمن تمسك بهم فقد اتخذ إلى ربّه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوة بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسك بنا اتخذ إلى ربه سبيلاً.[2]

وأخرج الشيخ ابن بابويه في «عيون الأخبار» ص٣٥ـ ٣٦ قال:

حدّثنا أبي ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: حدّثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا (ولا) لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن

(١) سورة المؤمنون/ الآية ٧٤/ .

(٢) «ذخائر العقبى ص١٤»

﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن موضع سره.

وعنه قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي، قال: حدّثنا فرات بن إبراهيم الكوفي، قال: حدّثني محمد بن الحسن بن إبراهيم، قال: حدّثنا ألوان بن محمد، قال: حدّثنا حنان بن سدير، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ في الحمد ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني محمداً وذريته صلوات الله عليهم.

وعنه ـ أيضاً ـ في «الأمالي» ص١٧٣، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن الحسين بن يزيد، عن اليعقوبي، عن عيسى بن عبدالله العلوي، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سره أن يجوز على الصراط كالريح العاصف، ويلج الجنة بغير حساب فليتولَّ وليِّي ووصِّيي وصاحبي وخليفتي على أهلي وأمتي علي بن أبي طالب، ومن سره أن يلج النار فليترك ولايته، فوعزَّةِ ربِّي وجلالِه إنه لباب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وإنه ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ وإنه الذي يسأل الله عن ولايته يوم القيامة.

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

أخرج الشيخ ابن شهراشوب في «المناقب» ج٣: ٧٢، عن إبراهيم الثقفي بإسناده إلى أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ سألت الله أن يجعلها لعليّ ففعل.

(١) سورة الأنعام/ الآية١٥٣/ .

وذكره الشيخ المجلسي في «البحار» ج٣٥: ٣٦٤، والسيد البحراني في «غاية المرام» ج١: ٢٤٧، عن «الروضة» لابن الفارسي.

وروى محمد بن الحسن الصفار، عن عمران بن موسى، عن موسى بن جعفر، عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ قال: هو والله علي، هو والله الميزان والصراط[1].

وأخرج الشيرازي، عن قتادة، عن الحسن البصري في قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ قال: يقول: هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته طريق مستقيم، ودين مستقيم فاتبعوه وتمسكوا به، فإنه واضح لاعوج فيه[2].

وعن جابر بن عبدالله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما أصحابه عنده إذ قال ـ وأشار بيده إلى علي ـ هذا صراط مستقيم فاتّبعوه[3].

وعن سعد، عن أبي جعفر عليه السلام : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ قال: آل محمد الصراط الذي دلّ عليه[4].

قال شرف الدين النجفي في تأويل الآيات الباهرة وذكر علي بن يوسف بن جبير في كتابه نهج الإيمان قال: «الصراط المستقيم هو علي ابن أبي طالب في هذه الآية»[5].

وفي تفسير فرات الكوفي ص٤٣، عن محمد بن الحسين بن إبراهيم

---

(١) غاية المرام ج١: ٢٤٦، وج٢: ٤٣٤، تفسير البرهان ج١: ص٥٦٣.

(٢) غاية المرام ج٢: ٤٣٤.

(٣) غاية المرام ج٢: ٤٣٥، تفسير البرهان ج١: ٥٦٣.

(٤) تفسير العياشي ج١: ٣٨٤، البحار ج٢٤: ١٤.

(٥) تفسير البرهان ج١: ٥٦٣.

معنعناً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثنا أبو برزة قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال ـ وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ـ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾(١). فقال رجل: أليس إنما يعني الله فضل هذا الصراط [هذا الإسلام] على ما سواه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا جفاؤك يافلان، أمّا قولك: فضل الإسلام على ما سواه فكذلك، وأما قول الله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ فإني قلت لربي مقبلاً عن غزوة تبوك الأولى: اللهم إني جعلت علياً بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة له من بعدي، فصدِّق كلامي وأنجز وعدي، واذكر علياً بالقرآن كما ذكرت هارون، فإنك قد ذكرت اسمه في القرآن، فقرأ آية، فأنزل تصديق قولي فرَسخَ حسده من أهل هذه القبلة وتكذيب المشركين حيث شكُّوا في منزلة علي عليه السلام فنزل: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ وهو جالس عندي، فاقبلوا نصيحته، واقبلوا قوله، فإنه من سبَّني فقد سب الله، ومن سبَّ علياً فقد سبَّني.

ورواه الشيخ المجلسي في البحار ج٢٤: ١٤ وصدره: «محمد بن الحسن بن إبراهيم معنعناً، عن أبي برزة قال..»

وفي تفسير فرات الكوفي ص٤٤ والبحار ج٢٤: ١٥، عن جعفر ابن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي مالك الأسدي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام أَسألُه عن قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ إلى آخر الآية: قال: فبسط أبو جعفر عليه السلام يده اليسرى ثم دوَّر فيها يده اليمنى، ثم قال: نحن صراطه المستقيم فاتَّبعوه، ولا

---

(١) سورة الأنعام/ الآية١٥٣/ .

تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله يميناً وشمالاً، ثم خطَ بيده.

قال مصحح البحار: وفي حاشية نسخة الكمباني: هذا إشارة إلى أن تعدد الأئمةعليهم السلام لا ينافي كونهم سبيلا واحداً لاتحاد حقيقتهم النورية وهياكلهم المعنوية، كما روي عنهم من كونهم نوراً واحداً، أولهم محمد وآخرهم محمد، وكلهم محمد، وأما من يقابلهمعليهم السلام فكل منهم سبيل على انفراده يدعو لنفسه دون غيره، فأحدهم يأخذ يميناً والآخر شمالاً، فكل واحد منهم خط يقابل الآخر لاستحالة أن يكون الخطان واحداً بخلاف الدائرة، لأن كل جزء منها يجوز أن يفرض أولاً وآخراً ووسطاً فهي متشابهة الأجزاء يجوز اتِّصاف كل منها بصفة الآخر، فتدبَّر.

وفي تفسير فرات الكوفي ص٤١ والبحار ج٢٤: ١٥، عن جعفر بن محمد الفزاري معنعنا، عن حمران قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: علي بن أبي طالب والأئمة من ولد فاطمة، هم صراط الله، فمن أباهم سلك السبل.

٣. قوله تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾(١).

روى العياشي في تفسيره ج٢: ٩، عن أبي بصير، عن أبي عبداللهعليه السلام قال: الصراط الذي قال ابليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية. وهو عليعليه السلام.

وذكره السيد البحراني في البرهان ج٢: ٥، والمولى محسن الكاشاني في تفسير الصافي ج١: ٥٦٨.

٤. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف/ الآية١٦/ .

(٢) سورة الشورى/ الآية٥٢/ .

عن جعفر بن أحمد، عن عبدالكريم بن عبد الرحيم، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى لنبيه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾[١]. يعني علياً، وعلي هو النور، فقال: ﴿نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[٢] يعني علياً، به هُدي من هُدي من خلقه، وقال الله لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣] يعني إنك لتأمر بولاية علي وتدعو إليها، وعلي هو الصراط المستقيم «صراط الله» يعني علياً الحديث[٤].

وعن محمد بن همام، عن سعيد بن محمد، عن عبّاد بن يعقوب، عن عبدالله بن الهيثم، عن صلت بن الحر قال: كنت جالساً مع زيد بن علي فقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: هُدي الناس وربِّ الكعبة إلى علي صلوات الله عليه، ضلَّ عنه من ضلَّ واهتدى به من اهتدى[٥].

وروى الصفار، عن عبدالله بن عامر، عن أبي عبدالله البرقي، عن الحسن بن عثمان، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إنك لتأمر بولاية علي وتدعو إليها، وهو الصراط المستقيم[٦].

٥ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[٧]

---

(١) سورة الشورى/ الآية٥٢/ .

(٢) سورة الشورى/ الآية٥٢.

(٣) سورة الشورى/ الآية٥٢/ .

(٤) تفسير القمي ص٦٠٦، البحار ج٣٥: ٣٦٧، تفسير البرهان ج٤: ١٣٣.

(٥) تفسير القمي ص٦٠٦، البحار ج٣٥: ٣٦٩، تفسير البرهان ج٤: ١٣٤.

(٦) تفسير البرهان ج٤: ١٣٣، غاية المرام ج١: ٢٤٦.

(٧) سورة الحجر/ الآية٤١/ .

سعد بن عبدالله قال: حدّثنا موسى بن جعفر بن وهب البغدادي عن علي بن أسباط، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عزّوجلّ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ قال: والله علي عليه السلام، وهو والله الميزان والصراط المستقيم[1].

وأخرج أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن شاذان في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام المائة قال: الخامس والثمانون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين قال: قام عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنك لا تزال تقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وقد ذكر هارون في القرآن ولم يذكر علياً؟! فقال النبي: ياغليظ يا أعرابي إنك ما تسمع الله يقول: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

وعن أبي جميلة، عن أبي عبدالله عليه السلام، عن أبي جعفر، عن أخيه عن قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام [2].

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

روى الكليني في أصول الكافي ج١: ٤١٦، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن النضر بن شعيب، عن خالد بن مادّ، عن محمد ابن الفضل، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام : قال: أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: إنك على ولاية عليٍّ، وعليٌّ هو الصراط المستقيم.

وذكره ابن شهراشوب في المناقب ج٣: ٧٤ وقال: ومعنى ذلك أن

(١) البحار ج٣٥: ٣٦٣: تفسير البرهان ج٢: ٣٤٤.

(٢) تفسير البرهان ج٢: ٣٤٤.

(٣) سورة الزخرف/ الآية٤٣/ .

علي بن أبي طالب عليه السلام الصراط إلى الله كما يقال فلان باب السلطان إذا كان يوصل به إلى السلطان. ثم إن الصراط هو الذي عليه عليّ، يدلُّك ـ وضوحاً على ذلك ـ قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] يعني نعمة الإسلام، لقوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾[2] والعلم: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[3] والذرية الطيبة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[4] الآية، وإصلاح الزوجات لقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾[5] فكان علي عليه السلام في هذه النعم في أعلى ذراها.

وروى الكليني في «الروضة» بالأسانيد إلى جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فقال: إلهي ما الصراط المستقيم؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب فعليّ هو الصراط المستقيم[6].

وأخرج الشيخ الثقة محمد بن العباس بن ماهيار في تفسيره قال: حدّثنا علي بن عبدالله، عن إبراهيم بن محمد، عن علي بن هلال، عن الحسن بن وهب، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ﴾ قال: في علي بن أبي طالب[7].

وروى الحافظ بن المغازلي الشافعي في كتابه «مناقب علي بن أبي طالب» ـ خ ـ قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني، حدّثنا

---

(١) سورة الفاتحة/ الآية٧/ .
(٢) سورة لقمان/ الآية٢٠/ .
(٣) سورة النساء/ الآية١١٣/ .
(٤) سورة آل عمران/ الآية٣٣/ .
(٥) سورة الأنبياء/ الآية٩٠/ .
(٦) البحار ج٣٥: ٣٦٧.
(٧) تفسير البرهان ج٤: ١٤٥، غاية المرام ج١: ٢٤٧.

هلال بن محمد الحفار، حدّثنا إسماعيل بن علي، حدّثنا أبي علي حدّثنا علي بن موسى الرضا، حدّثنا أبي موسى، حدّثنا أبي جعفر، حدّثنا أبي محمد بن علي الباقر، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإني لأدناهم- في حجة الوداع بمنى، حتى قال: لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وإيم الله إن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه ثم قال: أو علي أو علي ثلاثا، فرأينا أن جبرائيل غمزه وأنزل الله عزّ وجلّ على أثر ذلك: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[1] بعلي بن أبي طالب ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾[2] ثم نزلت: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3] ثم نزلت: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وإنَّ علياً لعلم للساعة ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[4] عن علي بن أبي طالب.

٧ـ قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]

روى الكليني في أصول الكافي ج١: ٤٣٣، عن عليّ بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: قلت: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: إن الله ضرب مَثَلَ مَن حادَ عن ولاية

(١) سورة الزخرف/ الآية٤١/ .
(٢) سورة الزخرف/ الآية٤٢/ .
(٣) سورة المؤمنون/ الآية٩٣-٩٤/ .
(٤) سورة الزخرف/ الآية٤٤/ .
(٥) سورة الملك/ الآية٢٢/ .

عليّ كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره، وجعل من تبعه سوّياً على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام.

وعن محمد بن العباس، عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد ابن سماعة، عن صالح بن خالد، عن منصور بن حريز، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تلا هذه الآية وهو ينظر إلى الناس: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: يعني والله علياً والأوصياء[1]

وعن محمد بن يعقوب، عن علي بن الحسن، عن منصور بن حريز عن عبدالله، عن الفضيل قال دخلت مع أبي جعفر عليه السلام المسجد الحرام وهو متكئ عليَّ فنظر إلى الناس ونحن على باب بني شيبة فقال: يا فضيل هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية لا يعرفون حقاً ولا يدينون ديناً، يا فضيل انظر إليهم فإنهم مكبُّون على وجوههم لعنهم الله من خلق ممسوخ مكبين على وجوههم، ثم تلا هذه الآية: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني والله علياً عليه السلام والأوصياء[2].

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3]

روى ابن شهراشوب في المناقب ج٣: ٧٤، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن أبيه، وزيد بن علي بن الحسين عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ يعني به الجنة ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يعني به ولاية علي بن ابي طالب عليه السلام. وهناك آيات وأحاديث كثيرة بهذا اللفظ والمعنى أعرضنا عنها، روماً للاختصار.

---

(١) كنز الفوائد ص٢٤٥، غاية المرام ج٢، ٤٣٥، تفسير البرهان ج٤: ٣٦٣.
(٢) تفسير البرهان ج٤: ٣٦٣. روضة الكافي: ٢٨٨.
(٣) سورة يونس/ الآية٢٥/ .

مرض القلوب في روايات المعصومين

روى الكليني، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبدالله بن محمد الحجّال، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال رسول الله ﷺ: تذاكروا وتلاقوا وتحدَّثوا فإن الحديث جلاء للقلوب، إنَّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث «أصول الكافي ج١: ٤١».

وروى الصدوق في الخصال ج١: ١٨، عن الخليل، عن أبي العباس السراج، عن قتيبة، عن رشيد بن سعد البصري، عن شراحيل بن يزيد عن عبدالله بن عمر وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إذا طاب قلب المرء طاب جسده، وإذا خبث القلب خبث الجسد.

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص ابن البختري، رفعه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: روِّحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنها تَكِلُّ كما تَكِلُّ الأبدان. «الكافي ج١: ٤٨».

وقال عليه السلام : ألا وإن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وإن من النعم سعة المال وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب[1].

وقال عليه السلام : إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل

(١) «نهج البلاغة ج٤: ١٨٨»

شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمي[١].

وعنه عليه السلام قال: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة «الحكم»[٢].

وعن محمد بن موسى البرقي، عن علي بن محمد ماجيلويه، عن البرقي عن أبيه، عن محمد بن سنان رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أعجب ما في الإنسان قلبه وله مواد من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة، وإن جددت له النعمة أخذته العزة، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن استفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط به مفسد[٣].

---

(١) «نهج البلاغة ج٤: ١٣٢»

(٢) «نهج البلاغة ج٤: ١٠٣، ١٣٢»

(٣) «روضة الكافي: ٢١، البحار ٧٠: ٥٢»

أحاديث الإيمان وأثره في الجوارح

في الكافي ج٢: ٢٨٥، عن ابن أبي عمير، عن علي بن الزيات، عن عبيد بن زرارة قال: دخل ابن قيس الماصر وعمرو بن زرّ ـ وأظنُّ معهما أبو حنيفة ـ على أبي جعفر عليه السلام فتكلم ابن قيس الماصر فقال: إنا لا نخرج أهل دعوتنا وأهل ملتنا من الإيمان في المعاصي والذنوب، قال: فقال له أبو جعفر عليه السلام : يا ابن قيس أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال: لا يزنى الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن، فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت.

وفي ثواب الأعمال ص: ٣١٢، عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن صباح بن سيابة قال: كنت عند ابي عبدالله عليه السلام فقيل له: يزني الزاني وهو مؤمن؟ قال: لا، إذا كان على بطنها سلب الإيمان منه «الحديث».

وفي الكافي ج٢: ٢٨١ـ في حديث طويل ـ قال: عن عدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، رفعه، عن محمد ابن داود الغنوي، عن الأصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً زعموا أنَّ العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا

يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل علي هذا وحرج منه صدري حين ازعم أن هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو دعائي ويناكحني وأناكحه ويوارثني وأوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الحديث».

هذه الأحاديث تعاضد ما أثر عن المعصومين عليهم السلام من أن الإيمان مبثوث على الأعضاء والجوارح، ولكلّ منها إيمان يخصّ به وهي مسؤولة عنه، وما روي عن أبي عبدالله عليه السلام من قوله: «ملعون من قال: الإيمان قول بلا عمل»[1] شاهد صدق على ذلك.

والروايات في إيمان الجوارح ومسؤوليتها مستفيضة متواترة، ومنها ما رواه الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي ج٢: ٣٧ قال:

عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً، عن البرقي، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن عبيدالله بن الحسن، عن الحسن بن هارون قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2] قال: يُسأل السمع عما سمع، والبصر عما نظر إليه، والفؤاد عما عقد عليه.

وعنه في الكافي ج٢: ٣٣ـ٣٧، قال:

عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدّثنا أبو عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أيها العالم: أخبرني أي الأعمال أفضل عندالله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا

---

(١) البحار ج٦٩: ١٩.

(٢) سورة الإسراء/ الآية٣٦/ .

به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً، قال: قلت: ألا تخبرني عن الإيمان، أَقَوْلٌ هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله بيِّن في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجَّته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه، قال: قلت: صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه، قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيِّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه، قلت: إن الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟ قال: نعم، قلت: كيف ذلك؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسَّمه عليها وفرَّقه فيها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وُكّلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباه من قلبه، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه، فليس من هذه جارحة إلا وقد وكّلت من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها.

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرص على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأمَّا ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم

يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبيّ أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة، وهو عمله وهو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾[(١)]

وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[(٣)].

وقال: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(٤)]

فذلك ما فرض الله عَزَّوَجَلَّ على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب، بما عقد عليه وأقرَّ به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[(٥)].

وقال: ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[(٦)]

فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله، وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرَّم الله وأن يعرض عما لا يحل له ممَّا نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله عَزَّوَجَلَّ فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ

---

(١) سورة النحل/ الآية١٠٦/ .

(٢) سورة الرعد/ الآية٣٠/ .

(٣) سورة المائدة/ الآية٤١/ ، نص الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾

(٤) سورة البقرة/ الآية٢٨٤/ .

(٥) سورة البقرة/ الآية٨٣/ .

(٦) سورة العنكبوت/ الآية٤٦/ .

عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾[1].

ثم استثنى الله عَزَّوَجَلَّ موضع النسيان فقال: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]

وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾[4].

وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[5].

وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[6]

فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغي إلى مالا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرَّم الله عليه وأن يُعرض عما نهى الله عنه، مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة النساء/ الآية١٣٩/ .

(٢) سورة الأنعام/ الآية٦٨/ .

(٣) سورة الزمر/ الآية١٧-١٨/ .

(٤) سورة المؤمنون/ الآيات١-٥/ .

(٥) سورة القصص/ الآية٥٥/ .

(٦) سورة الفرقان/ الآية٧٢/ .

(٧) سورة النور/ الآية٣٠/ .

فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[1] من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن يُنظر إليه وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب، واللسان، والسمع والبصر في آية أخرى فقال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾[2]. يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[3] فهذا ما فرض الله على العينين من غضّ البصرعمّا حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض الله على اليدين أن لايبطش بهما إلى ماحرم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ، وفرض عليهما من الصدقة، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلاة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[4].

وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[5].

فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لايمشي بهما إلى شيء من معاصي الله

(١) سورة النور/ الآية٣١/ .

(٢) سورة فصلت/ الآية٢٢/ .

(٣) سورة الإسراء/ الآية٣٦/ .

(٤) سورة المائدة/ الآية٦/ .

(٥) سورة محمد/ الآية٤/ .

وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله عَزَّ وَجَلَّ فقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[1].

وقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[2].

وقال فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به وفرضه عليهما: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان..

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]

فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين.

وقال في موضع آخر: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[5].

وقال فيما فرض على الجوراح من الطهور والصلاة بها وذلك أن الله عَزَّ وَجَلَّ لمّا صرف نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[6] فسمى الصلاة إيماناً فمن لقي الله عَزَّ وَجَلَّ حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من

---

(١) سورة الإسراء/ الآية٣٧/ .

(٢) سورة لقمان/ الآية١٩/ .

(٣) سورة يس/ الآية٦٥/ .

(٤) سورة الحج/ الآية٧٧/ .

(٥) سورة الجن/ الآية١٨/ .

(٦) سورة البقرة/ الآية١٤٣/ .

جوارحه ما فرض الله عَزَّوَجَلَّ عليها، لقي الله عَزَّوَجَلَّ مستكملاً لإيمانه، وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها، أو تعدى ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ فيها، لقي الله عَزَّوَجَلَّ ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟.

فقال: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1]. وقال: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[2].

ولو كان كله واحداً لازيادة فيه ولا نقصان لم يكن لاحد منهم فضل على الآخر ولاسْتَوَتْ النعم فيه، ولاستوى الناس، وبطل التفضيل ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرِّطون النار.

---

(١) سورة التوبة/ الآيات ١٢٤ـ١٢٦/ .

(٢) سورة الكهف/ الآية١٣/ .

حديث قدسي في صلاح العباد

روى الكليني في الكافي ج٢: ٦٠، عن محمد بن يحيى، عن أحمد ابن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقّي، عن أبي عبيدة الحذّاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله عزّ وجلّ إنّ من عبادي المؤمنين عباداً لايصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى، والسعة، والصحة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم، وإنّ من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة، والمسكنة، والسقم في أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي، فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له، وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه، زارئ عليها، ولو أُخلِّي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العُجب من ذلك، فيُصيِّره العُجب إلى الفتنة بأعماله، فيأتيه من ذلك مافيه هلاكه، لعُجبه بأعماله، ورضاه عن نفسه، حتى يظنّ أنه قد فاق العابدين، وجاز في عبادته حد التقصير، فيتباعد مني عند ذلك، وهو يظن أنه يتقرب إلي، فلا يتّكل العاملون على أعمالهم

التي يعملونها لثوابي، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصِّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي، والنعيم في جناتي، ورفيع درجاتي العلى في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا، فإن رحمتي عند ذلك تداركهم، ومنِّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تَسمَّيْتُ.

التعليقة ١١

حديث الإمام الصادق(عليه السلام) في إثبات الصانع

روى الطبرسي في الاحتجاج ج٢: ٦٩، وعنه المجلسي في البحار ج٣: ٢٩ قال:

رُوي عن هشام بن الحكم أنه قال: من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبدالله عليه السلام أن قال: ما الدليل على صانع العالم؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام : وجود الأفاعيل التي دلّت على أنَّ صانعها صنعها، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مُشيَّد مبنيّ علمت أن له بانياً وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده.

قال: فما هو؟

قال: وهو شيء بخلاف الأشياء، ارجع بقولي: شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لاجسم، ولا صورة، ولا يُحسّ، ولا يُدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام، ولاتنقصه الدهور، ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فإنّا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً.

قال أبو عبدالله عليه السلام : لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منا مرتفعاً، لأنّا لم نُكلَّف أن نعتقد غير موهوم، لكنّا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلاً، فهو مخلوق، ولابد من إثبات

كون صانع الأشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين: إحداهما النفي إذا كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر في التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون، وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم، إذ(إن) كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا، وتنقّلهم من صغر إلى كبر، وسواد إلى بياض، وقوة إلى ضعف، وأحوال موجودة لاحاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها ووجودها.

قال السائل: فأنت حدَّدته إذا ثبَّتَّ وجوده!

قال أبو عبدالله عليه السلام : لم أحدده ولكني أثبتُّه إذ لم يكن بين الاثبات والنفي منزلة.

قال السائل: فقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1].

قال أبو عبدالله عليه السلام : بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنَّ العرش محلّ له، لكنّا نقول: هو حامل للعرش وممسك للعرش، ونقول في ذلك: ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[2] فثبَّتنا من العرش والكرسي ما ثبَّته، ونفينا أن يكون العرش والكرسيّ حاوياً له، وأن يكون عزّوجلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

---

(١) سورة طه/ الآية٥/ .

(٢) سورة البقرة/ الآية٢٥٥/ .

قال أبو عبدالله عليه السلام : ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق، فثبّتنا ما ثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ، وهذا تُجمع عليه فرق الأُمّة كلّها.

حديث المذهب الصحيح في التوحيد

روى الصدوق- رحمه الله- في التوحيد ص١٠٢، قال:

حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدّثنا محمد ابن الحسن الصفار، قال: حدّثنا العباس بن معروف، قال: حدّثنا ابن أبي نجران، عن حماد بن عثمان، عن عبدالرحيم القصير، قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبدالله عليه السلام بمسائل فيها:

أخبرني عن الله عزّ وجلّ هل يوصف بالصورة وبالتخطيط؟ فإن رأيت -جعلني الله فداك- أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب عليه السلام بيدَيْ عبدالملك بن أعين: سألت -رحمك الله- عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبّهون الله تبارك وتعالى بخلقه المفترون على الله.

واعلم -رحمك الله- أن المذهب الصحيح في التوحيد مانزل به القرآن من صفات الله عزّ وجلّ، فَانْفِ عن الله البطلان والتشبيه، فلا نفي ولا تشبيه، هو الله الثابت الموجود، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون، ولاتَعْدُ القرآن فتضلّ بعد البيان[1].

---

(١) ورواه الشيخ الكليني في الكافي ج١: ١٠٠

التعليقة ١٣

خطبة أمير المؤمنين(عليه السلام) في الخليقة

ذكر عليه السلام في هذه الخطبة ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم والأنبياء، ونحن نورد منها ما يخص التوحيد الذي استدل به شيخنا الوالد ـ قدس سره ـ في بحثه، قال عليه السلام :

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود ولا أجل ممدود. فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنَّاه، ومن ثنَّاه فقد جزَّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن قال: (فيمَ؟) فقد ضمَّنه، ومن قال: (علامَ؟) فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى

الحركات والآلة، بصير إذ لامنظور إليه من خلقه، متوحِّد إذ لاسكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده.

أنشأ الخلق إنشاءً، وإبتدأه ابتداءً، بلارويَّة أجالها، ولاتجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، غرَّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها، ثم أنشأ ـ سبحانه ـ فتق الأجواء وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيَّارُه، متراكماً زخَّارُه، حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فأمرها بردِّه، وسلّطها على شدِّه، وقرنها إلى حدِّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مُرَبَّها، وأدام مرَّبها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزَّخَّار وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء تَرُدُّ أوَّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عَبَّ عُبابَهُ، ورمى بالزبد رُكامه، فرفعه في هواء مُنفِتق، وجوٍّ مُنْفَهِق، فسوَّى منه سبع سماوات، جعل سُفلاهُنَّ موجاً مكفوفاً، وعُلياهُنَّ سقفاً محفوظاً، وسَمْكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولادسار ينظمها، ثم زيَّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك دائر، وسقف سائر، ورقيم مائر.

ثم فتق ما بين السماوات العُلا، فملأهُنَّ أطواراً من ملائكته منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافُّون لا يتزايلون، ومُسبِّحون لا يسأمون، لايغشاهم نوم العين، ولا سهو العقول، ولافترة الأبدان، ولاغفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه ومنهم

الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة، لايتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يُجرون عليه صفاتِ المصنوعين، لا يَحدُّونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر(١).

وفي هذا المعنى حديث للإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ـ أخرجه الشيخ الكليني في الكافي ج١: ١٤٠، والصدوق في التوحيد ص٥٦ـ قال:

حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدّثني علي بن العباس، قال: حدّثني جعفر بن محمد الأشعري، عن فتح بن يزيد الجرجاني، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه ـ قال جعفر: وإنَّ فتحاً أخرج إليَّ الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمدلله الملهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وبأشباههم على أن لاشبه له، المستشهد آياته على قدرته، الممتنع من الصفات ذاته، ومن الأبصار رؤيته، ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه، لايشمله المشاعر، ولايحجبه الحجاب، فالحجاب بينه وبين خلقه، لامتناعه مما يمكن في ذواتهم، ولإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته، ولافتراق الصانع والمصنوع، والرب والمربوب، والحادِّ والمحدود، أحد لابتأويل عدد، الخالق لا بمعنى

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٠-٢٧

حركة، السميع لا بأداة، البصير لابتفريق آلة، الشاهد لا بمماسَّة، البائن لا ببَرَاحِ مسافة، الباطن لا باجتنان، الظاهر لا بُمحاذٍ، الذي قد حُسِرت دون كنهه نواقد الأبصار، وامتنع وجوده جوائل الأوهام.

أول الديانة معرفته، وكمال المعرفة توحيده، وكمال التوحيد نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة الموصوف أنه غير الصفة، وشهادتهما جميعاً على أنفسهما بالبيِّنة الممتنع منها الأزل، فمن وصف الله فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن عدَّه فقد أبطل أزله، ومن قال: كيف فقد استوصفه، ومن قال: علامَ فقد حمله، ومن قال: أين فقد أخلى منه، ومن قال: إلامَ فقد وقّته، عالِمٌ إذ لا معلوم وخالِقٌ إذ لا مخلوق، وربٌّ إذ لا مربوب، وإله إذ لا مألوه، وكذلك يوصف ربُّنا، وهو فوق ما يصفه الواصفون.

التعليقة ١٤

احتجاج الإمام الرضا(عليه السلام) في التوحيد

روى الصدوق في التوحيد ص٢٥٠ قال:

حدّثنا محمد بن علي ما جيلويه ـ رضي الله عنه ـ عن عمه محمد بن أبي القاسم، قال: حدّثني أبو سمينة محمد بن علي الصيرفي، عن محمد ابن عبدالله الخراساني خادم الرضا عليه السلام، قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة، فقال له أبو الحسن عليه السلام : أيها الرجل أرأيت إن كان القول قولكم ـ وليس هو كما تقولون ـ ألسنا وإياكم شرعاً سواء، ولا يضرُّنا ما صلَّينا وصّمنا وزكّينا وأقررنا؟ فسكت.

فقال أبو الحسن عليه السلام : وإن يكن القول قولنا ـ وهو كما نقول ـ ألستم قد هلكتم ونجونا؟

فقال: رحمك الله فأوجدني كيف هو، وأين هو؟

قال: ويلك! إن الذي ذهبت إليه غلط، هو أيَّنَ الأين وكان ولا أين، وهو كيّف الكيف وكان ولا كيف، ولا يُعرف بكيفوفيَّة ولا بأينونيَّة ولا يُدرك بحاسَّة ولا يقاس بشيء.

قال الرجل: فإذاً، إنه لا شيء إذ لم يدرك بحاسَّة من الحواسّ.

فقال أبو الحسن عليه السلام : ويلك! لمّا عجزت حواسُّك عن إدراكه أنكرت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسُّنا عن إدراكه أيقنَّا أنه ربّنا خلاف

الأشياء.

قال الرجل: فأخبرني متى كان؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان.

قال الرجل: فما الدليل عليه؟

قال أبو الحسن عليه السلام : إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنّي فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجرِّ المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانياً فأقررت به، مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته، وإنشاء السحاب، وتصريف الرياح، ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت أن لهذا مقدراً ومنشئاً.

قال الرجل: فلِمَ احتجب؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : إن الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم، فأمّا هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار.

قال: فلِمَ لا تدركه حاسة البصر؟

قال: للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسّة الإبصار منهم ومن غيرهم، ثم هو أجلُّ من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم، أو يضبطه عقل.

قال: فَحدَّه لي.

قال: لاحَدَّ له.

قال: ولم؟

قال: لأن كلَّ محدود متناهٍ إلى حدّ، وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود، ولا متزايد ولامتناقص، ولا متجزئ، ولامتوهم.

قال الرجل: فأخبرني عن قولكم: إنه لطيف، سميع، بصير، عليم، حكيم، أيكون السميع إلا بالأُذن، والبصير إلا بالعين، واللطيف إلا بعمل اليدين، والحكيم إلا بالصنعة؟

فقال أبو الحسن عليه السلام : إن اللطيف منَّا على حدِّ اتخاذ الصنعة، أوما رأيت الرجل منا يتخذ شيئاً يلطف في اتخاذه فيقال: ما ألطف فلاناً، فكيف لا يقال للخالق الجليل: لطيف إذ خلق خلقاً لطيفاً وجليلاً وركَّب في الحيوان أرواحاً، وخلق كل جنس متبائناً عن جنسه في الصورة لا يشبه بعضه بعضاً، فكلٌّ له لطيف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته، ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطائبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك: إن خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعتهم، وقلنا: إنه سميع لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرَّة إلى أكبر منها، في بَرِّها وبحرها، ولا تشتبه عليه لغاتها، فقلنا عند ذلك: إنه سميع لا بأُذن، وقلنا: إنه بصير لا ببصر، لأنه يرى أثر الذرَّة السحماء في الليلة الظلماء، على الصخرة السوداء، ويرى دبيب النمل في الليلة الدجيَّة، ويرى مضارَّها، ومنافعها، وأثر سِفادها، وفراخها، ونسلها، فقلنا عند ذلك إنه بصير لا كبصر خلقه.

قال: فما برح حتى أسلم.

التعليقة ١٥

صفات الله في حديث الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص٧٦ قال:

حدّثنا أبي، وعبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطار رحمهما الله، قالا: حدّثنا علي بن محمد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمد ابن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام، فقلت له: يا بن رسول الله علِّمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ماذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث ولم يولَد فيشارَك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يُغلب، والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لايجور، والجواد الذي لا يبخل، وإنه لا تقدره العقول ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[1] وهو الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم، وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً.

وروى المجلسي في البحار ج٣: ٢٦٢ عن فقه الرضا قال: وأروي عن العالم عليه السلام ـ وسألته عن شيء من الصفات ـ فقال: لا تتجاوز مما في القرآن.

(١) سورة المجادلة/ الآية٧/ .

حديث الإمام الصادق(عليه السلام) في النهي عن وصف الله تعالى بصفة المخلوقين

روى المجلسي في البحار ج٣: ٢٨٧ قال:

عن علي بن الحسين، عن هارون بن موسى، عن محمد بن همام، عن الحميري، عن عمر بن علي العبدي، عن داود بن كثير الرقي، عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله إني دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول: إن لله وجهاً كالوجوه، وبعضهم يقول: له يدان! واحتجوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[1].

وبعضهم يقول: هو كالشاب من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله؟ قال: ـ وكان متكئاً فاستوى جالساً ـ وقال: اللهم عفوك عفوك. ثم قال: يا يونس! من زعم أن لله وجهاً كالوجوه فقد أشرك، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا تقبلوا شهادته، ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبِّهون بصفة

(١) سورة ص / الآية ٧٥/.

المخلوقين، فوجه الله أنبياؤه وأولياؤه[1] وقوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ﴾ اليد: القدرة، كقوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾[2] فمن زعم أن الله في شيء، أو على شيء، أو يحول من شيء إلى شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبه الناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده، بعيد في قربه، ذلك الله ربنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحّدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه برآء.

(١) لأن المولى يخاطب العباد ويواجههم بهم ﷺ، والعباد يتوجهون إلى الله تعالى بهم.
(٢) سورة الأنفال / الآية ٢٦ / .

التعليقة ١٧

علم الله في أحاديث المعصومين (عليهم السلام)

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الله عز وجل ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه.

أصول الكافي ج١: ١٠٧

محمد بن يحيى، عن سعد بن عبدالله، عن محمد بن عيسى، عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الأشياء قبل ما خلق عند ما خلق وما كوّن عند ماكوّن؟ فوقّع بخطّه: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء.

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص١٣٤، قال:

أبي رحمه الله، قال حدّثنا سعد بن عبدالله، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت له: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله؟ قال: فقال: بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض.

وعنه في التوحيد ص١٣٥، قال:

حدّثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رَحِمَهُ اللهُ عن أبيه، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن علي بن إسماعيل وإبراهيم بن هاشم جميعاً، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، قال: سألته - يعني أبا عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ - هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عَزَّوَجَلَّ قال: لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض.

وعنه - أيضاً - في التوحيد ص١٣٦، قال:

حدّثنا عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، قال: حدّثنا أحمد بن الفضل بن المغيرة، قال: حدّثنا أبو نصر منصور بن عبدالله بن إبراهيم الأصفهاني قال: حدّثنا علي بن عبدالله، قال: حدّثنا الحسين بن بشار، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سألته أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ أو لا يعلم إلا ما يكون؟.

فقال: إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]

وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[2] فقد علم الله عَزَّوَجَلَّ أنه لو ردّهم لعادوا لما نُهوا عنه.

وقال للملائكة لما قالوا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]

فلم يزل الله عَزَّوَجَلَّ علمه سابقاً للأشياء قديماً قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا وتعالى علواً كبيراً، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها لماشاء، كذلك لم يزل ربنا عليماً سميعاً بصيراً.

---

(١) سورة الجاثية / الآية٢٩/ .

(٢) سورة الأنعام / الآية٢٨/ .

(٣) سورة البقرة / الآية٣٠/ .

وعنه ـ أيضاً ـ في التوحيد ص١٣٦، قال:

عن علي بن عبدالله، قال: حدّثنا صفوان بن يحيى، عن عبدالله بن مسكان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان، أم علمه عندما خلقه وبعدما خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعدما كونه وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان.

ثم قال الشيخ الصدوق:

من الدليل على أن الله تبارك وتعالى عالم أن الأفعال المختلفة التقدير، المتضادة التدبير، المتفاوته الصفة، لاتقع على ما ينبغي أن يكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها، ولا يستمرّ على منهاج منتظم ممن يجهلها، ألا ترى أنه لا يصوغ قرطاً يُحكم صنعته، ويضع كلاً من دقيقه وجليله موضعه من لا يعرف الصياغة، ولا أن ينتظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة، والعالم ألطف صنعة وأبدع تقريراً مما وصفناه فوقوعه من غير عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد وأشد استحالة.

التعليقة ١٨

نفي التشبيه في حديث الإمام الرضا(عليه السلام)

روى الشيخ الصدوق في التوحيد ص٦٠، قال:

حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق ـ رحمه الله ـ قال: حدّثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا الحسين بن الحسن بن بردة، قال: حدّثني العباس ابن عمرو الفقميّ، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد العلوي، عن يزيد الجرجانيّ، قال: لقيته عليه السلام على الطريق عند منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق فسمعته يقول: من اتقى الله يُتَّقى، ومن أطاع الله يُطاع.

فتلطفت في الوصول إليه فوصلت فسلَّمت فردَّ عليَّ عليه السلام ثم قال: يافتح من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فضمن أن يُسلَّط عليه سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف إلا بماوصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدَّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلَّ عمَّا وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في بعده قريب، وفي قربه بعيد، كيَّفَ الكيف فلا يقال له: كيف، وأيَّن الأين فلا يقال له: أين، إذ هو مبدع الكيفوفية والأينونية.

يافتح كل جسم مغذّىً بغذاء إلا الخالق الرزّاق، فإنه جسّم الأجسام، وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ، ولم يتناهَ، ولم يتزايد ولم يتناقص، مُبرّأ من ذات ما ركّب في ذات مَن جسّمه وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء ومجسّم الأجسام ومصوِّر الصور، لو كان كما يقول المشبّهة لم يُعرَف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المُنْشَأ، لكنه المنشئ، فرق بين من جسّمه وصوّره، وشيّأه وبينه إذ كان لا يشبهه شيء.

قلت: فالله واحد والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوحدانية؟

فقال: أحلت ثبّتك الله، إنما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة وهي دلالة على المسمى، وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثّة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزّأة ليس سواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعَصَبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جل جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولاتفاوت، ولا زيادة، ولانقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة، وجواهر شتى، غير أنه بالاجتماع شيء واحد.

قلت: فقولك: اللطيف فَسِّرْه لي، فإني أعلم أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل، غير أني أحب أن تشرح لي.

فقال: يافتح إنما قلت: اللطيف للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف، وفي

الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس، والبعوض، وما هو أصغر منهما، مما لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكرُ من الأنثى، والمولودُ من القديم، فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه بما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز، والقفار، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تُفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف، وأنَّ كلَّ صانع شيء فمن أيِّ شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء.

قلت: جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1] فقد أخبر أن في عباده خالقين، منهم عيسى بن مريم، خَلَق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامريُّ خَلَقَ لهم عجلاً جسداً له خوار، قلتُ: إنَّ عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته، والسامري خلق عجلاً لنقض نبوة موسى عليه السلام وشاء الله أن يكون ذلك كذلك؟ وإن هذا لهو العجب.

فقال: ويحك يافتح إن لله إرادتين ومشيَّتن: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو مارأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيتها مشية الله، وأمر إبراهيم بذبح إبنه إسماعيل عليه السلام، وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيَّةُ إبراهيم مشيَّةَ الله عزّ وجلّ.

---

(١) سورة المؤمنون / الآية ١٤/ .

قلت: فرَّجتَ عني فرَّج الله عنك، غير أنك قلت: السميع البصير، سميع بالأذن، وبصير بالعين؟

فقال: إنه يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين، وسميع لا مثل سمع السامعين، لكن لمَّا لم يخفَ عليه خافية من أثر الذَّرَّة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار، قلنا: بصير، لا بمثل عين المخلوقين، ولمَّا لم يشتبه عليه ضروب اللغات ولم يشغله سمع عن سمع قلنا: سميع، لامثل سمع السامعين.

قلت: جعلت فداك قد بقيت مسألة.

قال: هات لله أبوك.

قلت: يعلم القديم، الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون؟

قال: ويحك! إن مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢)

وقال تعالى يحكي قول أهل النار: ﴿أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾(٤)

فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون.

فقمتُ لأقبِّل يده ورجله، فأدنى رأسه فقبَّلْتُ وجهه ورأسه، وخرجت وبي من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه لما تبيَّنْتُ من الخير والحظ.

---

(١) سورة الأنبياء / الآية٢٢/ .

(٢) سورة المؤمنون / الآية٩١/ .

(٣) سورة فاطر / الآية٣٧/ .

(٤) سورة الأنعام / الآية٢٨/ .

بيان في الإرادة والمشيَّة

أورد الشيخ المجلسي ـ رحمه الله ـ في مرآة العقول ج: ١ ص١٠٥ وجوهاً في معنى الإرادة والمشيَّة، تفصيلاً لما ذكره شيخنا الوالد الأميني ـ طاب ثراه ـ وخلاصتها:

١. أن يقال: المراد بالمشيَّة العلم، ويؤيّده ما في كتاب فقه الرضا حيث قال عليه السلام: قد شاء الله من عباده المعصية وما أراد وشاء الطاعة وأراد منهم، لأن المشية مشية الأمر ومشيَّة العلم، وإرادته ارادة الرضا، وإرادة الأمر أمر بالطاعة ورضاً بها، وشاء المعصية يعني: علم من عباده المعصية ولم يأمرهم بها.. الخبر.

٢. أن يقال: المراد بمشيَّة الطاعة هداياته وألطافه الخاصة التي ليست من ضروريات التكليف وبمشيَّته المعصية خذلانه وعدم فعل تلك الألطاف بالنسبة إليه، وشيء منهما لا يوجب جبره على الفعل والترك ولا ينافي استحقاق الثواب والعقاب.

٣. ما قيل: أنَّ المراد تهيئة أسباب فعل العبد بعد إرادة العبد ذلك الفعل.

٤. أن يقال: لما اقتضت المصلحة تكليف من علم الله منه المعصية وكلفه مع علمه بذلك ووكله إلى اختياره ففعل تلك المعصية فكأنه شاء

صدوره منه، وكذا في الطاعة إذا علم عدم صدورها منه فسمي ذلك مشيَّة مجازاً، وهذا مجاز شايع كما إذا أمر المولى عبده بأوامر، وخيَّره في ذلك ومكنَّه على الفعل والترك مع علمه بأنه لا يأتي بها فيقال له: أنت فعلت ذلك إذ كنت تعلم أنه لا يفعل ومكَّنته ووكلته إلى نفسه.

٥. أن يقال: المراد بمشيَّته عدم جبره على فعل الطاعة أو ترك المعصية، وبعبارة أخرى سمى عدم المشيَّة مشيَّة العدم.. وهذا قريب من الوجه السابق بل يرجع إليه.

٦. إنه إسناد للفعل إلى العلة البعيدة، فإن العبد وقدرته وإرداته لمَّا كانت مخلوقة لله تعالى فهو جلَّ وعلا علة بعيدة لجميع أفعاله.

٧. ما أومأنا إليه في الخبر السابق من المشيَّة بالتبع، وربما يحقق بوجه أوضح حيث حقق بعضهم الأمر بين الأمرين أنّ فِعْلَ العبد واقع بمجموع القدرتين: قدرة الله وقدرة العبد، والعبد لا يستقل في إيجاد فعله بحيث لا دخل لقدرة الله تعالى فيه، بمعنى أنه أقدر العبد على فعله بحيث يخرج عن يده أزَّمة الفعل المقدور للعبيد مطلقاً كما ذهب إليه المُفوِّضة، أو لاتأثير لقدرته فيه وإن كان قادراً على طاعة العاصي جبراً لعدم تعلّق إرادته بجبره في أفعاله الاختيارية، كماذهب إليه المعتزلة. وهذا أيضاً نحو من التفويض، وليس قدرة العبد بحيث لا تأثير له في فعله أصلاً، سواء كانت كاسبة كما ذهب إليه الأشعري، ويؤول مذهبه إلى الجبر، أم لا تكون كاسبة أيضاً بمعنى: أن لا تكون له قدرة واختيار أصلاً بحيث لا يكون فرق بين مشي زيد وحركة المرتعش كما ذهب إليه الجبرية، وهم جهم بن صفوان ومن تبعه، فهذا معنى الأمر بين الأمرين. ولما كان مشيَّة العبد وإرداته وتأثيره في فعله جزءاً أخيراً للعلَّة التامة.

وإنما يكون تحقق الفعل والترك مع وجود ذلك التأثير وعدمه فينتفي

صدور القبيح عنه تعالى، بل إنما يتحقق بالمشيَّة والإرادة الحادثة وبالتأثير من العبد الذي هو متمم للعلة التامة، ومع عدم تأثير العبد والكف عنه بارادته واختياره لا يتحقق فعله بمجرد مشيَّة الله سبحانه وإرادته وقدرته، إذ لم يتحقق مشيَّة وإرادة وتعلق إرادة منه تعالى بذلك الفعل مجرداً عن تأثير العبد فحينئذ الفعل لا سيما القبيح مستنداً إلى العبد.

ولما كان مراده تعالى من إقداره العبد في فعله، وتمكينه له فيه صدور الأفعال عنه باختياره وإرادته، إذا لم يكن مانع أيّ فعل أراد واختار من الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ولم يرد منه خصوص شيء من الطاعة والمعصية ولم يرد جبره في أفعاله، ليصح تكليفه لأجل المصلحة المقتضية له، وكلفه بعد ذلك الإقدار بإعلامه بمصالح أفعاله ومفاسده في صورة الأمر والنهي لأنهما منه تعالى من قبيل أمر الطبيب للمريض بشرب الدواء النافع ونهيه عن أكل الغذاء الضار، فمن صدور الكفر والإيمان والعصيان عن العبد بإرادته المؤثرة، واستحقاقه بذلك العقاب لا يلزم أن يكون العبد غالباً عليه تعالى ولا يلزم عجزه تعالى، كما لا يلزم غلبة المريض على الطبيب، ولاعجز الطبيب إذا خالفه المريض وهلك، ولايلزم أن يكون في ملكه أمر لا يكون بمشيَّة الله تعالى وإرادته، ولايلزم الظلم في عقابه لأنه فعل القبيح بإرادته المؤثرة، وطبيعة ذلك الفعل توجب أن يستحق فاعله العقاب.

ولما كان مع ذلك الإعلام من الأمر والنهي بوساطة الحجج عليهم السلام اللطف والتوفيق في الخيرات والطاعات من الله جلَّ ذكره فما فعل الإنسان من حسنة فالأولى أن يسند وينسب إليه تعالى، لأنه مع إقداره وتمكينه له وتوفيقه للحسنات، أعلمه بمصالح الإتيان بالحسنات ومضارِّ تركها،

والكفِّ عنها بأوامره، وما فعله من سيِّئة فمن نفسه، لأنه مع ذلك أعلمه بمفاسد الإتيان بالسيئات، ومنافع الكفّ عنها بنواهيه، وهذا من قبيل إطاعة الطبيب ومخالفته، فإنه من أطاعه وبرئ من المرض يقال: عالجه الطبيب، ومن خالف وهلك يقال: أهلك نفسه بمخالفته للطبيب.

فمعنى قوله: «أمر الله ولم يشأ» أنه أعلم العباد وأخبرهم بالأعمال النافعة لهم كالإيمان والطاعة ولم يشأ صدور خصوص تلك الأفعال عنهم، كيف ولو شاء ولم يصدر عن بعضهم لزم عجزه ومغلوبيَّته، تعالى عن ذلك علوا كبيراً، بل إنما شاء صدور الأفعال عنهم بقدرتهم واختيارهم أيَّ فعل أرادوه، فما شاء الله كان، ومعنى قوله: «شاء ولم يأمر» أنه شاء صدور الأفعال عن العباد باختيارهم أيَّ فعل أرادوه، ولم يأمر بكلِّ ما أرادوا، بل نهاهم عن بعضه وأعلمهم بمضَّرته كالكفر والعصيان. فقوله: «أمر إبليس أن يسجد لآدم» أي أعلمَهُ بأن سجوده لآدم نافع له، وكفّه عنه ضارٌّ له، وشاء أن لا يسجد يعني لم يشأ خصوص السجود عنه، ولو شاء خصوص السجود عنه لسجد لاستحالة عجزه وغلبة إبليس عليه، بل إنما شاء صدور أيهما كان من السجود وتركه، أي كفه بإرادته واختياره، ولما لم يسجد إبليس أي كفَّ عن السجود بإرادته فهو تعالى لأجل ذلك شاء كفَّهُ.

ولما كان الكفُّ إنما يتحقق بمشيَّة إبليس وإرادته المؤثرة، وهي جزء أخير للعلَّة التامة فلذا يستحق إبليس الذم والعقاب، والقبيح صادر عنه لا عن الله تعالى، وكذا الكلام في نهي آدم عن أكل الشجرة.

هذا آخر ما وسعني جمعه من أحاديث وأقوال ترتبط ببحوث الكتاب والله أسال أن يثيب بذلك روح شيخنا الوالد «الأميني» طاب ثراه إنه سميع مجيب الدعاء.

مصادر التحقيق

١. الاحتجاج أحمد بن علي الطبرسي نجف ١٣٨٦هـ

٢. إرشاد القلوب الحسن بن محمد الديلمي بيروت

٣. أصول الكافي محمد بن يعقوب الكليني طهران ١٣٨٨هـ

٤. الأمالي شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٨٤

٥. أمالي الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي نجف ١٣٨٩

٦. بحار الأنوار المولى محمد باقر المجلسي طهران ١٣٨٨

٧. البرهان السيد هاشم الحسيني البحراني قم ١٣٩٣

٨. بصائر الدرجات محمد بن الحسن الصفار تبريز ١٣٨٠

٩. التبيان شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٨٢

١٠. تفسسير الخازن علي بن محمد البغدادي القاهرة ١٣٢٨

١١. تفسير الصافي الفيض الكاشاني طهران ١٣٧٥

١٢. تفسير العسكري الإمام الحسن بن محمد العسكري عليه السلام تبريز ١٣١٥

١٣. تفسير العياشي محمد بن مسعود السلمي طهران ١٣٨١

١٤. تفسير فرات الكوفي فرات بن إبراهيم الكوفي نجف

١٥. تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن كثير القرشي بيروت ١٣٨٨
١٦. تفسير القمي علي بن إبراهيم القمي نجف ١٣٨٦
١٧. التفسير الكبير محمد بن عمر الفخر الرازي القاهرة
١٨. تفسير نور الثقلين عبد علي بن جمعة الحويزي قم ١٣٨٣
١٩. التوحيد محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٨٧
٢٠. تهذيب الأحكام شيخ الطائفة الطوسي نجف ١٣٧٨
٢١. ثواب الأعمال محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٩١
٢٢. الجامع لأحكام القرآن محمد بن أحمد القرطبي القاهرة ١٣٨٧
٢٣. جامع الأخبار أصفهان ١٣٦٥
٢٤. الخصال محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٨٩
٢٥. الدر المنثور جلال الدين السيوطي مصر ١٣١٤
٢٦. دعوات الراوندي الحسين بن سعيد الراوندي إيران
٢٧. ذخائر العقبي محب الدين الطبري القاهرة ١٣٥٦
٢٨. رجال الكشي محمد بن عمر الكشي إيران
٢٩. سفينة البحار عباس بن محمد رضا القمي طهران
٣٠. الصحيفة السجادية الإمام علي بن الحسين عليه السلام طهران ١٣٣٨
٣١. الصواعق المحرقة أحمد بن حجر مصر ١٣١٢
٣٢. طب الأئمة عبدالله بن سابور نجف ١٣٨٥
٣٣. علل الشرايع محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣١١
٣٤. عيون أخبار الرضا محمد بن علي بن بابوية القمي نجف ١٣٩٠
٣٥. غاية المرام السيد هاشم الحسيني البحراني إيران ١٢٧٠
٣٦. الغدير عبد الحسين الأميني النجفي بيروت ١٣٨٧

٣٧. غرر الحكم عبد الواحد الآمدي نجف
٣٨. فرائد السمطين (خ) إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحمويه قم نسخة مكتبة آيه الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي العامة
٣٩. فقه الرضا الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام تبريز ١٢٧٤
٤٠. الكشاف جار الله الزمخشري القاهرة ١٣٨٥
٤١. كفاية الأثر علي بن محمد الخزاز القمي إيران
٤٢. كنز الفوائد محمد بن علي الكراجكي تبريز ١٣٢٢
٤٣. مجمع البيان الفضل بن الحسن الطبرسي بيروت ١٣٧٩
٤٤. المحاسن أحمد بن محمد البرقي طهران ١٣٧٠
٤٥. مسند الإمام الرضا عزيز الله العطاردي طهران ١٣٩٢
٤٦. معاني الأخبار محمد بن علي بن بابويه القمي طهران ١٣٧٩
٤٧. المعجم المفهرس محمد فؤاد عبد الباقي بيروت
٤٨. مكارم الأخلاق رضي الدين الطبرسي القاهرة ١٣٠٥
٤٩. من لايحضره الفقيه محمد بن علي بن بابويه القمي نجف ١٣٧٧
٥٠. مناقب آل أبي طالب محمد بن علي بن شهراشوب قم
٥١. المناقب للخوارزمي الموفق بن أحمد المكي نجف ١٣٨٥
٥٢. مناقب علي بن أبي طالب الحافظ ابن المغازلي طهران ١٣٩٤
٥٣. نهج البلاغة الشريف الرضي بيروت ١٣٧٤
٥٤. الوافي الفيض الكاشاني طهران ١٣١١
٥٥. وسائل الشيعة الحر العاملي بيروت ١٣٩١

فهرس الأعلام

المحتويات